المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

[illegible]

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كنار الطريق

(مصر شعبان سنة ١٣٢٥ — آخره الاثنين ٨ أكتوبر (ت ١) سنة ١٩٠٧)

باب تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من الدروس التي كان يلقيها في الأزهر الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه)

أخرج الفريابي وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال كانت الأوس والخزرج في الجاهلية بينهما شر فبينما هم جلوس ذكروا ما (كان) بينهم حتى غضبوا وقام بعضهم الى بعض بالسلاح فنزلت « وكيف تكفرون » الآية والآيتان بعدها.

وأخرج ابن اسحق وأبو الشيخ عن زيد بن أسلم قال : مرّ شاس بن قيس وكان يهوديا على نفر من الأوس والخزرج يتحدثون فغاظه ما رأى من تألفهم بعد العداوة فأمر شابا معه من يهود أن يجلس بينهم فيذكرهم يوم بعاث ففعل فتنازعوا وتفاخروا حتى وثب رجلان أوس بن قرظي من الأوس وجبار بن صخر من الخزرج فتقاولا وغضب الفريقان وتواثبوا للقتال فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء حتى وعظهم وأصلح بينهم فسمعوا وأطاعوا فأنزل الله في أوس وجبار « يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب » الآية وفي شاس بن قيس « يا أهل الكتاب لم تصدون » الآية : انتهى من لباب النقول للسيوطي

وأخرجه ابن جرير في التفسير مفصلا عن زيد بن أسلم قال مر شاس بن قيس وكان شيخا قد عتا في الجاهلية عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه فغاظه ما رأى من جماعهم وألفتهم وصلاح ذات بينهم على الاسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية فقال: قد اجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد والله ما لنا معهم اذا اجتمع ملؤهم بها من قرار، فأمر فتى شابا من اليهود — وكان معه — فقال: اعمد اليهم فاجلس معهم وذكرهم يوم بعاث وما كان قبله وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الاشعار، وكان يوم بعاث يوما اقتتلت به الأوس والخزرج وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج، ففعل فتكلم القوم عند ذلك فتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب — أوس بن قيظي أحد بني حارثة بن الحارث من الأوس وجبار بن صخر أحد بني سلمة من الخزرج، فتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه ان شئت والله رددناها الآن جذعة: وغضب الفريقان وقالوا قد فعلنا السلاح السلاح موعدكم الظاهرة — والظاهرة الحرة — فخرجوا اليها وتحاور الناس فانضمت الأوس بعضها الى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتى جاءهم فقال: «يا معشر المسلمين الله الله، أتدعون بدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله الى الاسلام وأكرمكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر وألف بينكم ترجعون الى ما كنتم عليه كفارا» فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فألقوا السلاح من أيديهم وبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شاس بن قيس وما صنع: قال ابن جرير فأنزل الله في شاس بن قيس وما صنع «يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله» الى آخر الآيتين السابقتين قال وأنزل الله عز وجل في أوس بن قيظي وجبار بن صخر ومن كان معهما من قومهما «يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا

الكتاب » الى قوله « لعلكم تهتدون » وأورد صاحب الكشاف الرواية مختصرة وقال في آخرها: فما كان يوم أقبح أولا وأحسن آخرا من ذلك اليوم: — فعلى هذا تكون الآيتان السابقتان متصلتين بالآيات الآتية

(٩٥ : ١٠٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (٩٦:١٠١) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ، وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٩٧ : ١٠٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (٩٨:١٠٣) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا، وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ٭

قال الاستاذ الامام إن صح ما ورد في سبب نزول هذه الآيات فالمراد بالكفر في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين) هو العداوة والبغضاء التي كان الكفر سببها كما أن المراد بالايمان على هذا هو الألفة والمحبة التي هي ثمرة يانعة من ثمرات الايمان واذا لم تنظر الى ما ورد من السبب فالمعنى أن أهل الكتاب قد سلكوا سبل التأويل في الكتاب فحرفوه وانصرفوا عن هدايته الى تقاليد وضعوها لأنفسهم فاذا أطعتموهم وسلكتم مسالكهم فانكم تكفرون بعد إيمانكم

أقول ويجوز أن يراد بالكفر على الوجه الاول حقيقته كأنه يقول إنكم اذا أصغيتم الى مايلقيه هؤلاء اليهود من مثيرات الفتن واستجبتم لما يدعونكم

اليه فكنتم طائعين لهم فانهم لا يقنعون منكم بالعود الى ما كنتم عليه من العداوة والبغضاء بل يتجاوزون الى ما وراء ذلك وهو أن يردوكم الى الكفر . ويؤيدهذا قوله تعالى (٢ : ١٠٩ ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم) الآية وقوله في هذه السورة (٣ : ٦٨ ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم) ولا يمنع الانسان من إتيان ما يود الاعجزه . واذا كان هذا جائزا وهو الظاهر على الوجه الأول فهو متعين على الوجه الثاني .

أما اتصال الآية بما قبلها على هذا فظاهر جلي فانه بعدما وبخ أهل الكتاب على كفرهم وصدهم عن سبيل الله وهو الاسلام إثر إقامة الحجج عليهم وإزالة شبهاتهم ناسب أن يخاطب المؤمنين مبينا لهم أن من كان هذا شأنهم في الكفر وهذا شأن ما دعوا اليه في ظهور حقيته لا ينبغي أن يطاعوا ولا أن يسمع لهم قول فانهم دعاة الفتنة ورواد الكفر ولذلك قال ﴿ وكيف تكفرون ﴾ بطاعتهم واتباع أهوائهم ﴿ وأنتم تتلى عليكم آيات الله ﴾ وهي روح القلب وحفاظ الايمان ﴿ وفيكم رسوله ﴾ يبين لكم ما نزل اليكم ولكم في سنته وأخلاقه خير أسوة تغذي إيمانكم وتنير برهانكم فهل يليق بمن أوتوا هذه الآيات ووجد فيهم هذا الرسول الحكيم الرؤف الرحيم أن يتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا حتى استحوذ عليهم الشيطان ، وغلب عليهم البغي والعدوان ، وعرفوا بالكذب والبهتان ؟ فالاستفهام في الآية للانكار والاستبعاد ﴿ ومن يعتصم بالله ﴾ وبكتابه يكون الاعتصام إذ هو حبله الممدود ، ورسوله هو الوسيلة اليه وهو ورده المورود ، ﴿ فقد هدي الى صراط مستقيم ﴾ لا يضل فيه السالك ، ولا يخشى عليه من المهالك ، فلا تروج عنده الشبهات ، ولا تروق في عينه الترهات ، وقد جاء جواب الشرط بصيغة الماضي المحقق للاشعار بأن من يلتجئ اليه تعالى ويعتصم بحبله فقد تحققت هدايته وثبتت استقامته .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ﴾ أي واجب تقواه وما يحق منها كما في الكشاف قال : ومثله قوله تعالى (٦٤ : ١٦ فاتقوا الله ما استطعتم) أي

بالغوا في التقوى حتى لا تتركوا من المستطاع منها شيئاً » اه هذا ما فسر به العبارتين في الآيتين بحسب ذوقه السليم وفهمه الدقيق ثم نقل بعض ماورد فيهما وما قاله هو المتبادر ومعنى العبارتين عليه واحد. ومن الناس من فهم ان الآيتين متعارضتان حتى زعموا أن الثانية نسخت الأولى ورووا ذلك عن ابن مسعود موقوفاً ومرفوعاً فقد أخرج ابن جرير وغيره عنه أن معنى تقوى الله حق تقاته أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد ابن جبير قال انها لما نزلت اشتد على القوم العمل فقاموا (في صلاة الليل) حتى ورمت عراقيبهم وتقرحت جباههم فأنزل الله تخفيفاً عليهم « فاتقوا الله ما استطعتم » فنسخت الآية الأولى. كذا في روح المعاني وروى ذلك ابن جرير النسخ عن قتادة والربيع بن أنس والسدي وابن زيد وروى عدم نسخها عن ابن عباس وطاوس وأن ابن عباس فسرها بأن يجاهدوا في الله حق جهاده ولا تأخذهم في الله لومة لائم ويقوموا لله بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم. أي فهي بمعنى الآيات التي تقرر هذه الأمور الثلاثة وهي مما لا يقبل النسخ بحسب العقل، وإذا كانت الرواية بالنسخ ضعيفة بحسب الصناعة فهي في الحقيقة موضوعة ممن لم يفهم الآية. ولو كان معناها مارووا عن ابن مسعود رضي الله عنه لكانت من تكليف ما لا يطاق وهو ممنوع وبه أخذ الاستاذ الامام في منع النسخ

أما قوله تعالى (ولا تموتن الا وأنتم مسلمون) فمعناه على المختار عند الاستاذ الامام استمروا على الاسلام وحافظوا على أعماله حتى الموت. فالمراد بالاسلام على هذا هو الدين ايمانه وعمله ووجه الاختيار انه جاء في مقابلة قوله « يردوكم بعد ايمانكم كافرين » وبعد الأمر بالتقوى حق التقوى. وقيل ان المراد به الاخلاص وقيل الايمان دون العمل لأنه هو الذي يستمر الى الموت. أقول وهذا النهي مبني على قاعدة أن المرء يموت غالبا على ماعاش عليه فاذا عاش على اليقين والتقوى حق التقوى والاحتراس مما ينافي الاسلام مات على ذلك بفضل الله الذي كانت تلك القاعدة من سننه في خلقه

ثم بين لنا عز وجل ما به يتحقق ذلك الأمر والنهي فقال (واعتصموا بحبل

الله جميعاً ولا تفرقوا) حبل الله هو القرآن كما ورد في الحديث الصحيح عن ابن مسعود وروى ابن أبي شيبة وابن جرير عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً « كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء الى الأرض » علم عليه في الجامع الصغير بالحسن . وروى الديلمي من حديث زيد بن أرقم « حبل الله هو القرآن » وقيل هو الطاعة والجماعة وروي عن ابن مسعود وقيل انه الاسلام وروي عن ابن عباس . وقالوا ان العبارة استعارة تمثيلية شبهت فيها حالة المسلمين في اهتدائهم بكتاب الله أو في اجتماعهم وتعاضدهم وتكاتفهم بحالة استمساك المتدلي من مكان عال بحبل متين يأمن معه من السقوط . وصور الاستاذ الامام التمثيل بما هو أظهر من هذا قال ما معناه الأشبه أن تكون العبارة تمثيلا كأن الدين في سلطانه على النفوس واستيلائه على الارادات وما يترتب على ذلك من جريان الاعمال على حسب هديه حبل متين يأخذ به الآخذ فيأمن السقوط كأن الآخذين به قوم على نشز من الأرض يخشى عليهم السقوط منه فأخذوا بحبل موثق [illegible] فوقهم فامتنعوا من السقوط .

وأقول ان المختار هو ما ورد في الحديث المرفوع من تفسير حبل الله بكتابه ومن اعتصم به كان آخذاً بالاسلام ولا يظهر تفسيره بالجماعة والاجماع وانما الاجماع هو نفس الاعتصام فهو يوجب علينا أن نجعل اجماعنا ووحدتنا بكتابه عليه نجتمع ، وبه نتحد ، لا بجنسيات نتبعها ، ولا بمذاهب نبتدعها ، ولا بمواضعات نضعها ، ولا بسياسات نخترعها ، ثم نهانا عن التفرق والانفصام ، بعد هذا الاجتماع والاعتصام ، لما في التفرق من زوال الوحدة ، التي هي معقد العزة والقوة ، وبالعزة يعتز الحق فيعلو في العالمين ، وبالقوة يحفظ هو وأهله من هجمات المواثبين وكيد الكائدين ، فهذا الأمر والنهي في معنى الامر والنهي في قوله تعالى (٦ : ١٥٢ وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) لحبل الله هو صراطه وسبيله وما أشرنا اليه هنا من بيان أنواع التفرق هو السبل التي نهى عن اتباعها في تلك الآية وهي قد نزلت قبل هذه التي نفسرها لأنها في سورة الانعام وهي مكية وسورة آل عمران مدنية فكأنه قال ولا تتفرقوا باتباع السبل غير سبيل الله الذي هو كتابه . فمن تلك السبل المفرقة إحداث المذاهب والشيع

في الدين كما قال (٦ : ١٥٩ ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء) ومنها عصبية الجنسية الجاهلية وهي التي نزلت الآية التي نفسرها وما معها فيما كان بين الأوس والخزرج ما كان كما تقدم. وورد في النهي عنها أحاديث كثيرة صحاح وحسان كقوله صلى الله عليه وسلم « أبغض الناس الى الله ثلاثة ملحد في الحرم ومبتغ في الاسلام سنة الجاهلية ومطلب دم امرئ مسلم بغير حق ليهريق دمه » رواه البخاري من حديث ابن عباس ، وقوله صلى الله عليه وسلم « ليس منا من دعا الى عصبية » رواه أبو داود من حديث جبير بن مطعم .

وقد اعتصم في هذا العصر أهل أوربا بالعصبية الجنسية كما كانت العرب في الجاهلية فسرى سم ذلك الى كثير من متفرنجة المسلمين فحاول بعضهم أن يجعلوا في المسلمين جنسيات وطنية تتعذر الجنسية النسبية ويوجد في مصر من يدعو الى هذه العصبية الجاهلية (*) مخادعين الناس بأنهم بذلك ينهضون بالوطن ويعلون شأنه وليس الأمر كذلك فان حياة الوطن وارتقاءه باتحاد كل المقيمين فيه على إحيائه لا في تفرقهم ووقوع التدابر والتعادي بينهم لا سيما المتحدين منهم في اللغة والدين أو أحدهما فان هذا من مقدمات الخراب والدمار لا من وسائل التقدم والعمران ، فالاسلام يأمر باتحاد واتفاق كل قوم تضمهم أرض وتحكمهم الشريعة على الخير والمصلحة فيها وان اختلفت أديانهم وأجناسهم ويأمر مع ذلك باتفاق أوسع وهو الاعتصام بحبل الله بين جميع الاقوام والاجناس لتتحقق بذلك الأخوة في الله ولذلك قال بعد الأمر بالاعتصام والاجتماع والنهي عن التفرق :

﴿ واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ﴾ يشير الى ما كان عليه المؤمنون في عصر التنزيل من أخوة الايمان التي بها قاسم الأنصار المهاجرين أموالهم وديارهم وبها كانوا يؤثر بعضهم بعضاً بالشيء على نفسه وهو في خصاصة وحاجة شديدة الى ذلك الشيء بعد ما كان

(*) بينا في المنار فساد هذه الدعوة ومنافاتها الاسلام مرارا كثيرة آخرها ما تقدم في الجزء السادس (ج ٦ م ١٠) في الرد على فريد أفندي وجدي وفي الجزء السابع بعده في الكلام على جريدة اللواء وصاحبها

بينهم في الجاهلية من العداوة والبغضاء وتسافك الدماء ماهو معروف في جمله للجماهير وفي تفاصيله القريبة للمطلعين على أخبارهم المروية والمدونة ومنها ان الحروب تطاولت بين الأوس والخزرج مئة وعشرين سنة حتى أطفأها الاسلام، وألف الله بين قلوبهم برسوله عليه الصلاة والسلام، فهذا بعض ماأفادهم الاسلام في حياتهم الدنيا، وقد أنقذهم فيما يستقبلون من أمر الآخرة مماهو شر، وأدهى وأمر، وذلك قوله عز وجل

﴿ وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ﴾ أي كنتم بوثنيتكم وشرككم بالله تعالى ومايتبعه من الخرافات والمفاسد التي أطفأت نور الفطرة وهبطت بالأرواح الى درك سافل حتى كانت كأنها على طرف حفرة يوشك أن تنهار بها في النار فشفا الحفرة أو البئر طرفها و يضرب به المثل في القرب من الهلاك قال الراغب ومنه أشفى على الهلاك أي حصل على شفاه وليس بين المشرك و بين الهلاك في النار الا الموت والموت أقرب غائب ينتظر، فما أعظم منة الله تعالى على المؤمنين الصادقين لا سيما الأولين الذين خوطبوا بهذه الآية أولا اذ أخرجهم بالاسلام من الشرك وبخاز به وشقائه وألف بينهم حتى صاروا بهذه الألفة أسعد الناس ثم صاروا سادات الأرض وانقذهم بذلك من النار فكانوا به سعداء الدارين والفائزين بالحسنيين أفليس أول واجب من شكر هذه النعمة التي لا تفضلها نعمة أن يعرضوا عن وساوس ودسائس أولئك المغرورين بسلفهم من الأنبياء وهم ليسوا على شيء من هدايتهم؟ بلى فقد وضح الحق وبطل الافك.

قال الاستاذ الامام انظر آية الله «قوم متخالفون بين العداوات والاحن يتربص كل واحد بالآخر الهلكة على يده فيأتي الله بهذه الهداية ليجمعهم و يزيل كل ما في نفوسهم من التنافر ويجعلهم إخوانا ترجع أهواؤهم كلها الى شيء واحد لا يختلفون فيه وهو حكم الله ولذلك قال ﴿ كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ﴾ أي ليعدكم ويؤهلكم بها للاهتداء الدائم المستمر فلا تعودوا الى عمل الجاهلية من التفرق والعدوان،

ثم قال التفرق والاختلاف قسمان قسم لا يمكن أن يسلم منه البشر فالنهي

عنه من قبيل تكليف مالا يستطاع وليس بمراد في الآيات ، وقسم يمكن الاحتراس منه وهو المراد بها . اما الاول فهو الخلاف في الفهم والرأي ولا مفر منه لأنه مما فطر عليه البشر كما قال تعالى (١١: ١١٨ ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم) فاستواء الناس في العقول والافهام مما لا سبيل اليه ولا مطمع فيه اذ هو من قبيل الحب والبغض فالأخوة الاشقاء في البيت الواحد تختلف افهامهم في الشيء كما يختلف حبهم له وميلهم اليه . وأما الثاني — وهو ما جاءت الأديان لمحوه فهو تحكيم الاهواء في الدين والاحكام وهو أشد الاشياء ضررا في البشر لأنه يطمس أعلام الهداية التي يلجأ اليها في إزالة المضار التي في النوع الأول من الخلاف

أما كون القسم الأول غير ضار فهو مايعرفه كل أحد من نفسه ذكر ذلك الاستاذ الامام وضرب له المثل بنفسه فقال مامثاله إن بيني و بين بعض أصحابي الصادقين في محبتي وارادة الخير لي خلافا في إلقاء هذا الدرس هنا فأنا أعتقد أن إلقاء درس التفسير في الازهر عمل واجب علي وخير لي لاأشك في هذا كما انني لاأشك في هذا الشيء [illegible] ويعتقد بعض من أصحابي من يعتقد ان ترك هذا الدرس خير لي من قراءته ويناصبوني في ذلك قائلين ان تأخري لأجل الدرس الى الليل ضار بصحتي وانه مثير لحسد الحاسدين لي وداع لهم الى الكيد والايذاء وان الدرس نفسه عقيم لأن أكثر الذين يسمعونه لايفقهون ماأقول ولا يفهمون ومن فهم لايرجى ان يعمل به لغلبة فساد الاخلاق . هذه حجة بعض أصحابي في مخالفةرأيي واعتقادي يصرحون لي بها ومع ذلك أنا أنا أنام ويلقونني لم ينقص ذلك من مودتنا شيئا فضلا عن ان يكون مثارا للعداوة والبغضاء بيننا فانا أعذرهم في رأيهم مع اعتقادي بإخلاصهم وهم يعذرونني كذلك . والغرض أن الخلاف بيننا في مسألة دينية كأن أعتقد أنا ان فعل كذا حرام وهم يعتقدون حله أكان يكون بيننا تفرق لأجله ؟ كلا لا ريب عندي انه لا فرق بين الخلافين وانا نبقى على هذا الخلاف أصدقاء

ثم قال مامثاله مبسوطا : وكذلك كان الخلاف بين علماء السلف وأئمة الفقهاء فانك قد نشأ في المدينة ورأى ما كان عليه أهلها من حسن الحال وسلامة القلوب

فقال ان عمل أهل المدينة أصل من أصولي لأنهم على حسن حالهم وقرب عهدهم بالنبي وأصحابه لا يتفقون على غير ما مضت عليه السنة عملا . وأما أبو حنيفة فنشأ في العراق وأهلها كما اشتهر عنهم أهل شقاق ونفاق فهو معذور اذا لم يحتج بعملهم ولا بعمل غيرهم قياسا عليهم، ولو اجتمعا لعذر كل منهما الآخر لأنه بذل جهده في استبانة الحق مع الاخلاص لله تعالى وارادة الخير والطاعة - وقد نقل عن الائمة ان كل واحد كان يعذر الآخرين فيما خالفوه فيه ولكن تنكب هذه الطريقة طوائف جاءت بعدهم تقلدهم فيما نقل من مذاهبهم لا في سيرتهم حتى صار الهوى هو الحاكم في الدين وصار المسلمون شيعا يتعصب كل فريق الى رأي من مسائل الخلاف ويعادي الآخر اذا خالفه فيه وكان من جراء ذلك ما هو مدون في التاريخ .

وما ذلك الا لأن الحق لم يكن هو مطلوب هؤلاء المتعصبين والا فبالله كيف يصدق ان يكون الامام الشافعي مثلا مصيبا في كل ما خالف فيه غيره؟ واذا كان الصواب في بعض المسائل الاجتهادية مع غيره فكيف يعقل ان يمر أكثر من ألف سنة على فقهاء مذهبه ولا يظهر لهم شيء من ذلك فيرجعوا عن قوله الى ما ظهر لهم أنه الصواب من مذهب غيره كأبي حنيفة أو مالك، وهذا ما يقال في أتباع كل مذهب

هذا النوع من الخلاف هو الذي ذلت به الامم بعد عزها وهوت بعد رفعتها وضعفت بعد قوتها — هو الافتراق في الدين وذهاب أهله مذاهب تجعلهم شيعا تتحكم فيهم الأهواء كما حصل من الفرق الاسلامية، لا يكاد أحدهم يعلم أن الآخر خالفه في رأي الا و يبادر الى الرد عليه بالتأليف و بذل الجهد في تضليله وتفنيد مذهبه و يقابله الآخر بمثل ذلك لا يحاول أحد منهم محادثة الآخر والاطلاع على دلائله ووزنها بميزان الانصاف والعدل كالواجب أولا ومحاولة التفهم والافهام في البحث والمذاكرة (أي ولو كتابة) وثانيا أن لا يكون الخلاف مفرقا بين المختلفين في الدين (قال) فما دام المسلم لا يخل بنصوص كتاب الله ولا باحترام الرسول صلى الله عليه وسلم فهو على اسلامه لا يكفر ولا يخرج من جماعة المسلمين فاذا تحكم الهوى فلعن بعضهم بعضا وكفر بعضهم بعضا فقد باء بها من قالها كما ورد في الحديث

ثم قال ومثل الاختلاف في الدين الاختلاف في المعاملة لا يجوز أن يكون مفرقا

بين المؤمنين بل يرجعون في النزاع الى حكم الله وأهل الذكر منهم : يعني أولي الأمر وهم أهل العلم والرأي في مصالح الأمة فاذا امتثلنا أمر الله ونهيه فاتقينا الخلاف الذي لنا عنه مندوحة وحكمنا كتاب الله ومن أمر الله بالرجوع اليهم في مسائل النزاع فيما تنازع فيه أمنا من غائلة الخلاف وكنا من المهتدين

ويدخل في كلمة المعاملة التي ذكرها الاستاذ الامام كل ما يتعلق بالمصالح العامة من المسائل السياسية والمدنية فالمرجع فيها كلها الى هدي الكتاب العزيز وسنة الرسول ورأي أولي الامر . وقد وسعنا القول في مسائل الخلاف من قبل وذكرنا وجه الخروج منه فارجع الى ذلك في تفسير « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض » الآية

(١٠٤ : ١٠٠) وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٥ : ١٠١) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٦ : ١٠٢) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ : أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٧ : ١٠٣) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ●

قال الاستاذ الامام رحمه الله تعالى ماملخصه : ان الله تعالى قد وضع لنا بفضله ورحمته قاعدة نرجع اليها عند تفرق الاهواء واختلاف الآراء وهي الاعتصام بحبله ولذلك نهانا عن التفرق بعد الامر بالاعتصام الذي قلنا في تفسيره انه تمثيل لجمع أهوائهم وضبط اراداتهم . ومن القواعد المسلمة انه لا تقوم لقوم قائمة الا اذا كان لهم جامعة تضمهم ووحدة تجمعهم وترابط بعضهم ببعض فيكونون بذلك أمة حية كأنها جسد واحد كما ورد في حديث « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »

(رواه أحمد ومسلم من حديث النعمان بن بشير) وحديث « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » (رواه الشيخان والترمذي والنسائي من حديث أبي موسى) فاذا كانت الجامعة الموحدة للأمة هي مصدر حياتها سواء كانت مؤمنة أم كافرة فلا شك أن المؤمنين أولى بالوحدة من غيرهم لأنهم يعتقدون أن لهم الٓها واحدا يرجعون في جميع شؤونهم الى حكمه الذي يعلو جميع الاهواء ويحول دون التفرق والخلاف . بل هذا هو ينبوع الحياة الاجتماعية لما دون الامم من الجمعيات حتى البيوت (العائلات) . ولما كان لكل جامعة وكل وحدة حفاظ يحفظه أرشدنا سبحانه وتعالى الى ما يحفظ به جامعتنا التي هي مناط وحدتنا — وأعني بها الاعتصام بحبله — فقال ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ فالامر بالمعروف والنهي عن المنكر حفاظ الجامعة وسياج الوحدة

وقد اختلف المفسرون في قوله تعالى « منكم » هل معناه بعضكم أم « من » بيانية . ذهب مفسر (الجلال) الى الاول لأن ذلك فرض كفاية وسبقه اليه الكشاف وغيره وقال بعضهم بالثاني قالوا والمعنى وكونوا أمة تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر قال الاستاذ الامام والظاهر ان الكلام على حد « ليكن لي منك صديق » فالامر عام ويدل على العموم قوله تعالى (والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) فان التواصي هو الأمر والنهي وقوله عز وجل (٥ : ٧٨ لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ٧٩ كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) وما قص الله علينا شيئا من أخبار الامم السالفة الا لنعتبر به . وقد أشار المفسر (الجلال) الى الاعتراض الذي يرد على القول بالعموم وهو انه يشترط فيمن يأمر وينهى أن يكون عالما بالمعروف الذي يأمر به والمنكر الذي ينهى عنه وفي الناس جاهلون لا يعرفون الاحكام . ولكن هذا الكلام لا ينطبق على ما يجب ان يكون عليه المسلم من العلم فان المفروض الذي ينبغي ان يحمل عليه خطاب التنزيل هو ان المسلم لا يجهل ما يجب عليه وهو مأمور بالعلم والتفرقة بين

المعروف والمنكر على ان المعروف عند اطلاقه يراد به ما عرفته العقول والطباع السليمة
والمنكر ضده وهو ما أنكرته العقول والطباع السليمة ولا يلزم لمعرفة هذا قراءة حاشية
ابن عابدين على الدر ولا فتح القدير ولا المبسوط وانما المرشد اليه مع سلامة الفطرة
كتاب الله وسنة رسوله المنقولة بالتواتر والعمل وهو ما لا يسع أحداً جهله ولا يكون
المسلم مسلما الا به. فالذين منعوا عموم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر جوزوا ان
يكون المسلم جاهلا لا يعرف الخير من الشر ولا يميز بين المعروف والمنكر وهو لا يجوز دينا

ثم ان هذه الدعوة الى الخير والامر والنهي لها مراتب فالمرتبة الاولى هي
دعوة هذه الأمة سائر الأمم الى الخير وان يشاركوهم فيما هم عليه من النور
والهدى وهو الذي يتجه به قول المفسر إن المراد بالخير الاسلام وقد فسرنا
الاسلام من قبل بأنه دين الله على لسان جميع الأنبياء لجميع الامم وهو الإخلاص
لله تعالى والرجوع عن الهوى الى حكمه وهذا مطلوب منا بحكم جعلنا أمة وسطاً
وشهداء على الناس كما تقدم في سورة البقرة وخير أمة أخرجت للناس كما سيأتي
بعد آيات مقيدا بكونها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وبحكم قوله في وصف
المؤمنين الذين أذن لهم بالقتال (٢٢ : ٤١ الذين ان مكناهم في الأرض أقاموا
الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) فالواجب دعوة الناس الى
الاسلام أولا فان أجابوا فالواجب أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر (قال) وأما
كون هذا حافظاً للوحدة ومانعاً من الفرقة فهو أن الأمة اذا اجتمعت على هذا
المقصد العالي الشريف وهو أن تكون مسيطرة على الأمم كلها ومربية لها ومهذبة
لنفوسها فلا شك أن جميع الاهواء الشخصية تتلاشى من بينهم فاذا عرض الحسد
والبغي لأحد من أفرادهم تذكروا وظيفتهم العالية الشريفة التي لا تتم الا بالتعاون
والاجتماع فأزالت الذكرى ما عرض وشفت النفوس قبل تمكن المرض

والمرتبة الثانية في الدعوة والأمر والنهي هي دعوة المسلمين بعضهم بعضا الى الخير
وتآمرهم فيما بينهم بالمعروف وتناهيهم عن المنكر والعموم فيها ظاهر أيضاً وله
طريقان: أحدهما الدعوة العامة الكلية (قال : كهذا الدرس) ببيان طرق الخير
وتطبيق ذلك على أحوال الناس وضرب الأمثال المؤثرة في النفوس التي يأخذ كل

سامع منها بحسب حاله . وإنما يقوم على هذا الطريق خواص الأمة العارفون بأسرار لأحكام وحكمة الدين وفقهه وهم المشار اليهم بقوله تعالى (٩ : ١٢٢ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) ومن مزايا هؤلاء تطبيق أحكام الله تعالى على مصالح العباد في كل زمان ومكان فهم يأخذون من الأمر العام بالدعوة والأمر والنهي على مقدار علمهم . والطريق الثاني الدعوة الجزئية الخاصة وهي مايكون بين الأفراد بعضهم مع بعض ويستوي فيه العالم والجاهل وهو مايكون بين المتعارفين من الدلالة على الخير والحث عليه عند عروضه والنهي عن الشر والتحذير منه وكل ذلك من التواصي بالحق والتواصي بالصبر وكل واحد يأخذ من الفريضة العامة بقدره

أقول أما كون هذه المرتبة حفاظاً للوحدة وسياجا دون الفرقة فهو ظاهر على الطريق الاول فلو كان أهل البصيرة والفقه الحقيقي في الدين يمسون دعوتهم وإرشادهم في الامة ومواعظهم لكانوا مؤيدين لجامعتها ومعاقد رابطة وحدتها . وكذلك على الطريق الثاني لو قام أفراد الأمة كلها بأن يقوم كل واحد منهم بنصيحة الآخر دعوة وأمرا ونهيا امتنع فشو الشر والمنكر فيهم وانتشر الخير والمعروف بينهم فكيف تجد الفرقة منفذا اليهم؟ أم كيف يستقر الخلاف في الدين بينهم ؟ وناهيك اذا قام كل على طريقه المستقيم — العلماء الحكماء في مساجدهم ومعابدهم، وجميع لأفراد في منازلهم ومساكنهم ومعاهدهم . وقد يقال إنا نرى التصدي لنصيحة الأفراد وأمرهم ونهيهم مجلبة للخلاف والفرقة ، لاداعية الى الوفاق والوحدة ، وقد أورد الاستاذ الامام هذه الشبهة وأجاب عنها فقال مامثاله : كيف يكون التآمر والتناهي حافظاً للوحدة ونحن نرى الامر بالعكس نرى التناصح سبب التخاصم والتدابر حتى صار من أعسر الامور بين الاخوان والاصحاب أن يقول أحدهما للآخر إنك فعلت كذا وهو منكر فارجع عنه أو إنك قادر على كذا من المعروف فأته : وذكر عن نفسه رحمه الله تعالى أنه صار يجد من الصعب جدا حتى مع من يعده صنيعة له أو وفيا أو أخا أن ينصحه في الامر أكثر من مرة خشية أن ينفر ويحمله ذلك على قطع مابينهما من الرابطة قال : فكأن النصح

لهم من الكليات التي لا يوجد لها الافرد واحد ؛ وذكر أنه لهذا التغور من النصح يسلك مع أصحابه والمتصلين به مسلك الكناية والتعريض في الغالب . وأجاب عن ذلك بأن هذا لا يعد حجة على الله ولا شبهة على دينه لانه منتهى ماتصل اليه الامم من الفساد والبعد عن الخير واستحقاق الغضب الالهي وتكاد الامة التي يفشو هذا فيها تكون من الامم التي تودع منها وانما الكلام في الدعوة الى الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع المسلمين الذين كانوا يشعرون بنعمة الله عليهم بالتأليف بين قلوبهم وإنقاذهم من النار بعد أن كانوا قد أشفوا عليها ومع من يشاركونهم في شعورهم ذلك ويتقون ستهم في الاهتداء بما أنزل الله كما وقع بين الاوس والخزرج في الرواية التي سبق ذكرها . فأمثال هؤلاء هم الذين يصدق عليهم قوله صلى الله عليه وسلم « المؤمن مرآة المؤمن » رواه الطبراني في الأوسط والضياء من حديث أنس ورواه البخاري في الأدب المفرد وأبو داود عن أبي هريرة بزيادة « والمؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته ويحوطه من ورائه »

قال الاستاذ الامام إن ماتعين فيه الآن من سوء الحال أثر تفريط كبير تمادى في زمن طويل بعد ما عظم التساهل في ترك التناصح وبطل ردما يتنازع فيه المسلمون الى الله ورسوله أي الى كتاب الله وسنة رسوله وخوت القلوب من احترام الدين حتى لم يبق له سلطان على الارادة بل صار كل شخص أسير هواه ومتى أمسى الناس هكذا — لادين ولامروءة ولاأدب — فأي فرق بين الطائفة منهم والقطيع من المعز أو البقر

عند هذا سأل سائل عن قوله تعالى (٥:٥ ١٠ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم) فأجاب إن هذا بعد القيام بفريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر أي ان الانسان لا يضره ضلال غيره اذا هو أمره ونهاه فانه لا يكون مهتديا مع تركه لهذه الفريضة . ثم قال من العجب ان بعض الناس اشترطوا لهذه الفريضة شرطا لم يأذن به الله ولم ينزله في كتابه وهو أنه لا يأمر وينهى الا من كان مؤتمرا ومنتهيا ؛ فالمختار عنده ما حققه الإمام

الغزالي من عدم اشتراط ذلك على ان الامامين يقولان بوجوب كون الواعظ المتصدي للارشاد والدعوة العامة مهتديا عاملا بعلمه متصفا بما يدعو اليه وقد قال الاستاذ الامام بمنع أولئك الجاهلين الفاسقين الذين ينصبون أنفسهم للوعظ والارشاد من تسنم هذه الدرجة وليس ذلك لأنه يشترط في فرضية الامر والنهي الائتمار والانتهاء بل لان المرشد العام محل لقدوة العوام فاذا كان ضالا يكون كالخمر والميسر إثمه أكبر من نفعه فهو يمنع منها لدرء المفسدة ولا يمنع من كل أمر ونهي فحاصل رأيه أن يمنع من منصب الإرشاد الذي قال انه خاص بالعارفين بأسرار الشريعة وفقهاء النفوس فيها ومن كان كذلك لا يكون الا عاملا بعلمه مهتديا بما يهدي اليه لأن العلم الصحيح يوجب العمل كما قررناه مرارا وفاقا له رأيه ورأي الغزالي ولا يمنعه من كل نصيحة وأي أمر ونهي بل يأمره بذلك وان لبسه العار الذي أشار اليه الشاعر بقوله

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم

وليس مراد الشاعر نهي المتخلق بالخلق النهي عن [illegible] بل مراده أنه يجب عليه الجمع بين النهي والانتهاء وهذا ما قاله الغزالي في الاحياء: إنه يجب على من يزني بامرأة أن يأمرها بستر بدنها أو قال وجهها والا كان مرتكبا لمعصية زائدة على معصية الزنا ولوازمه وهي معصية ترك النهي عن المنكر وكان يقول يجب على مدير الكأس أن ينهي الجلاس:

وأقول ان هذه الشبهة التي سئل عنها الاستاذ الامام قديمة عرضت للناس في الصدر الأول فقد روى ابن أبي شيبة وأحمد وعبد بن حميد وغيرهم من أصحاب المسانيد والترمذي وصححه وأبو يعلى والكجي من أصحاب السنن وابن حبان والدارقطني في الافراد والبيهقي في الشعب وغيرهم كلهم من طريق قيس ابن حازم قال قام أبو بكر خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) وإنكم تضعونها غير موضعها واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اذا رأى الناس المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب » ولابن مردويه عن ابن

عباس قال قعد أبو بكر على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم سمي خليفة رسول الله فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم مد يده فوضعها على المجلس الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس عليه من منبره ثم قال سمعت الحبيب وهو جالس في هذا المجلس يتأول هذه الآية . . . ثم فسرها فكان تفسيره لنا أن قال: نعم ليس من قوم يعمل فيهم بمنكر ويفسد فيهم بقبيح فلم يغيروه ولم ينكروه الا حق على الله ان يعمهم بالعقوبة جميعا ثم لا يستجاب لهم : ثم أدخل أصبعيه في أذنيه فقال : أن لا أكون سمعته من الحبيب صمتا :

قال الاستاذ الامام ويشترط بعضهم لوجوب شرطا آخر وهو الأمن على النفس وكان ينبغي ان يقولوا على الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ان يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة حتى لا ينفر الناس أو لا يحملهم على ايذائه فان الله يقول انه لا نجاة للناس الا بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر ولم يشترط في ذلك شرطا أي فيجب أن تأخذ النصوص على اطلاقها وأن نقوم بها بقدر الاستطاعة أو الطاقة ونتقي مع ذلك ما يحتمل من الهلاك [illegible] والمرسلين والسلف الصالحين على الدعوة الى الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وان كان محفوفا بالمكاره والمخاوف وكم قتل في سبيل ذلك منهم من نبي وصديق فكانوا أفضل الشهداء وفي حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام الى امام فأمره ونهاه في ذات الله تعالى فقتله على ذلك » رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد وتعقبه الذهبي بأن في سنده حفيدا الصفار لا يدرى من هو . ورواه الديلمي والضياء المقدسي . وروى الطبراني نحوه عن ابن عباس بسند ضعيف ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » رواه ابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري وأحمد وابن ماجه والطبراني والبيهقي في شعب الايمان عن أبي أمامة وأحمد والنسائي والبيهقي في الشعب أيضا عن طارق بن شهاب ذكر ذلك في الجامع الصغير ووضع بجانبه علامة الصحيح . أقول ورواه أبو داود في سننه عن أبي سعيد مرفوعا

بلفظ « أفضل الجهاد كلة عدل عند سلطان جائر أو أمير جائر » وقد ورد من تصدي علماء السلف لنصيحة الملوك والامراء الظالمين وإيذاء هؤلاء لهم وسفكهم دماء بعضهم مايرد شرط أولئك المشترطين الا من عليهم ويضرب به وجوههم (*) ولا ينافي هذا كون التوقي من الهلكة واجبا لذاته في هذه الحالة كما يجب في حال الجهاد بالسيف. فلا نترك الدعوة الى الخير ولا الجهاد دونه خوفا على أنفسنا حرصا على الحياة الدنيا ولا نفرط بأنفسنا في أثناء دعوتنا وجهادنا فيما لا تتوقف الدعوة ولا حاجتها عليه وقد يكون أكثر مايصيب الداعي الى الخير من الاذى ناشئا عن طريقة الدعوة وكيفية سوقها الى المدعو لاسيما اذا كان مسلما وكانت الدعوة مؤيدة بالكتاب والسنة (١٦ : ١٢٥ ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن)

قال الاستاذ الامام : ان الله تعالى أمر الناس بالتواصي بالحق والدعوة الى الخير وأمرهم ان يعدوا لذلك عدته ويعرفوا سبله وهي مبسوطة في السنة كقصة ذلك الرجل الذي كان ينادي في الطريق أريد أن أزني فجاء النبي صلى الله عليه وسلم وضرب على كتفه وقال « أتفعل هذا بأمك » قال لا قال « أتفعله بأختك » قال لا وخجل الرجل وانصرف وكقصة الاعرابي الذي عاهد الرسول على ترك الكذب فهذه هي الحكمة وبها تجب القدوة (٣ : ٣١ قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) وانا لن نكون متبعين له حتى نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر على سنته وطريقته اي في اللطف وتحري الاقناع

أقول أما قصة الرجل الذي يريد الزنا فهي كما روى ابن جرير من حديث أبي أمامة أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ائذن لي في الزنا فهم من كان قرب النبي صلى الله عليه وسلم ان يتناولوه فقال النبي صلى الله عليه وسلم «دعوه» ثم قال له «أتحب أن تفعل هذا بأختك» قال لا قال « فبابنتك» قال لا . فلم يزل يقول فبكذا فبكذا كل ذلك يقول لا فقال النبي صلى الله عليه وسلم « فاكره ما كره الله وأحب لأخيك ماتحب لنفسك» كذا في كنز العمال وذكره الغزالي في

(*) أوردنا طائفة من ذلك في المجلد التاسع من المنار فليرجع اليه من شاء

باب آداب المحتسب من كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من الاحياء قال:
وقد روى أبو امامة ان غلاما شابا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يانبي الله أتأذن لي في الزنا؟ فصاح الناس به فقال النبي (ص) «قربوه، ادن» فدنا حتى جلس بين يديه فقال النبي (ص) «أتحبه لأمك؟» قال لا، جعلني الله فداءك قال « كذلك الناس لا يحبونه لامهاتهم ، أتحبه لابنتك؟» قال لا، جعلني الله فداءك قال « كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم ، أتحبه لأختك؟» — وزاد ابن عوف أنه ذكر العمة والخالة وهو يقول في كل واحد : لا، جعلني الله فداءك : وقالا جميعا في حديثهما أعني ابن عوف والراوي الآخر فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على صدره وقال « اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحصن فرجه » فلم يكن شيء أبغض اليه منه يعني من الزنا. قال الشارح قال العراقي : رواه احمد باسناد جيد رجاله رجال الصحيح . أقول أما سياق الاستاذ الامام فلا أذكر أني رأيته فأرجع اليه وهو قد قصد المعنى دون نص الحديث ، وكذلك حديث الاعرابي الذي عاهد على ترك الكذب لا أتذكر مخرجه وانما أتذكر انه أصل على شرط أن يدع للنبي واحدة من ثلاث اعتادها — الكذب والخمر والزنا فعاهده على ترك الكذب فكان وسيلة الى ترك الخمر والزنا

وفي هذا المقام مقام أمن المتصدي للدعوة والأمر والنهي على نفسه وماله كما قيل يأتي بحث تغيير المنكر بالفعل وهو مرتبة غير مرتبة الناصح لابد فيها من قدرة خاصة ولذلك قالوا أنها من خصائص الحكام فيشترط فيها إذنهم وفي قول آخر لا يشترط والاصل في ذلك حديث «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان» رواه احمد ومسلم وأصحاب السنن الأربعة من حديث أبي سعيد الخدري وأنت ترى أن الخطاب فيه للأمة وقد يقال انه إذن منه صلى الله عليه وسلم وهو حاكم المسلمين في زمنه فهو تشريع وتنفيذ . وقال الاستاذ الامام في الدرس هنا يخلطون بين النهي عن المنكر وتغيير المنكر الذي جاء في حديث «من رأى منكم منكرا فليغيره» وهذا شيء آخر غير النهي ألبتة فان النهي عن الشيء انما يكون قبل فعله والا كان رفعا لواقع أو تحصيلا لحاصل فاذا رأيت شخصا يغش السمن مثلا وجب إلك

تغيير ذلك ومنعه منه بالفعل ان استطعت فالقدرة والاستطاعة هنا مشروطة بالنص فان لم تقدر على ذلك وجب عليك التغيير باللسان وهو غير خاص بنهي الفاسق ووعظه بل يدخل فيه رفع أمره الى الحاكم الذي يمنعه بقدرة فوق قدرتك . أما التغيير بالقلب فهو عبارة عن مقت الفاعل وعدم الرضى بفعله وللنهي طرق كثيرة وأساليب متعددة ولكل مقام مقال

(قال) ثم ان دعوة الامة غيرها من الامم الى الخير الذي هي عليه لايطالب بها كل فرد بالفعل اذ لايستطيع كل فرد ذلك وانما يجب على كل فرد أن يجعل ذلك نصب عينيه حتى اذا عن له بأن لقي أحدا من افراد تلك الامم دعاه لأنه ينقطع لذلك ويسافر لأجله وانما يقوم بهذا طائفة يعدون له عدته وسائر الافراد يقومون به عند الاستطاعة فهو يشبه فريضة الحج هي فرض عين ولكن على المستطيع . وفريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر آكد من فريضة الحج ولم يشترط فيها الاستطاعة لأنها مستطاعة دائما : عند هذا قال قائل ان من الناس من لايستطيع ذلك مطلقا ، فرد عليه قوله وضرب له مثلا بطائفة الشيعة فانهم لما كانت الدعوة ملتزمة عندهم صاروا كلهم دعاة عندما يعن لهم من يدعونه وذكر أنه لما كان في بيروت احتاج الى ظئر لارضاع بنت له فجيء بظئر شيعية من المتاولة فكانت في الدار تدعو النساء الى مذهبها وقال ان دعاة الاسلام من الصحابة والتابعين كانوا يدعون كل أحد الى الاسلام حتى الملوك والامراء فهذا يدل على ان الأمة اذا أرادت الدعوة لايقف في سبيلها شيء ، وقد تقدم قوله ان الجهل ليس بعذر للمسلم لانه يجب ان يكون عالما

ثم قال ماحاصله : جملة القول ان الدعوة الى الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض حتم على كل مسلم كما تدل عليه الآية في ظاهرها المتبادر وغيرها من الآيات كقوله تعالى (٥ : ٧٩ كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه) وكذلك عمل الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم . وكون هذا حفاظا للأمة وحرزا ظاهر فان الناس اذا تركوا دعوة الخير وسكت بعضهم لبعض على ارتكاب المنكرات خرجوا عن معنى الامة وكانوا أفذاذا متفرقين لاجامعة لهم ولهذا ضرب

الرسول (ص) المداهن مثل راكب في سفينة يطوف على جماعة معه بماء وكل ينفر مما معه فقال لهم اني في حاجة اليه وذهب ينقر في السفينة فان أخذوا على يده نجوا ونجاسهم والاهلك وهلكوا جميعا ففشوّ المنكرات مهلكة للأمة (٨ : ٢٥ واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) فلا يكفي المرء في حفظ نفسه ومن معه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا سيما أمهات المنكرات المفسدة للاجتماع كالكذب والخيانة والحسد والغش. فهذا ليس من فروض الكفاية التي يتوا كل فيها الناس كصلاة الجنازة اذ لايجب على كل من علم ان هنا ميتا ان ينتظر غسله ليصلي عليه بل يكفي ان يعلم أنه يوجد من يصلي عليه ولكنه اذا رأى منكرا وجب عليه ان ينهى عنه ولا ينتظر غيره لأنه تغير على رأيه

أقول ويظهر تذييل الآية بقوله تعالى ﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾ على هذا الوجه مالا يظهر على الوجه الآخر فهو يقول ان الفائزين بما ذكر هم الفائزون بما أعده الله من السعادة لاهل الحق دون سواهم ولا يصح أن يكون خاصا بالقائمين بفرض الكفاية

قال الاستاذ الامام [illegible] بيان معنى الآية على القول بأن « من » للتبعيض وتقدير الكلام ولتكن منكم طائفة متميزة تقوم بالدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والمخاطب بهذا جماعة المؤمنين كافة فهم المكلفون أن ينتخبوا منهم أمة تقوم بهذه الفريضة فهنا فريضتان إحداها على جميع المسلمين والثانية على الأمة التي يختارونها للدعوة ولا يفهم معنى هذا حق الفهم الا بفهم معنى لفظ الأمة وليس معناه الجماعة كما قيل والا لما اختير هذا اللفظ والصواب ان الأمة أخص من الجماعة فهي الجماعة المؤلفة من افراد لهم رابطة تضمهم ووحدة يكونون بها كالأعضاء في بنية الشخص. والمراد بكون المؤمنين كافة مخاطبين بتكوين هذه الأمة لهذا العمل هو أن يكون لكل فرد منهم إرادة وعمل في إيجادها وإسعادها ومراقبة سيرها بحسب الاستطاعة حتى إذا رأوا منها خطأ أو انحرافا أرجعوها الى الصواب. وقد كان المسلمون في الصدر الأول لاسيما زمن أبي بكر وعمر على هذا النهج من المراقبة للقائمين بالأعمال العامة حتى كان الصعلوك من رعاة الابل يأمر

مثل عمر بن الخطاب — وهو أمير المؤمنين — وينهاه فيما يرى أنه الصواب ولا بدع فالخلفاء على نزاهتهم وفضلهم ليسوا بمعصومين وقد صرح عمر بخطأه ورجع عن رأيه غير مرة .

(قال) ومن العبر في هذا المقام تنفيذ بلال الحبشي العتيق لأمر عمر بمحاسبة خالد ابن الوليد سيد بني مخزوم بعد تبليغه عزله من قيادة الجيش بالشام : وذكر مجمل القصة وهي أن عمر كتب عندما ولي الخلافة الى أبي عبيدة وهو في جيش خالد على الشام يوليه امارة الجيش العامة ويعزل خالدا عنها وكان الجيش على حصار دمشق أو في اليرموك (روايتان) فكتم أبو عبيدة الامر وكره أن يظهره قبل أن يتم لهم النصر ولما أبطأ على عمر الجواب كتب الى أبي عبيدة ثانية يأمره فيه بأن يقرأه على ملاء المسلمين وفيه الاذن بأن يعتقل خالد بعمامته ويحاسب على ما كان منه في امارته فهابه أبو عبيدة لشرفه وشجاعته وبلائه في الحرب وحب الجيش له ولكنه لما قرأ الكتاب قام بلال الحبشي [illegible] (المؤذن) وحل عمامة خالد واعتقله بها وسأله عما أمر به عمر فسمع وأجاب . فانظروا ما فعل هدي الاسلام بهؤلاء الكرام يقوم مولى من الفقراء الضعفاء الى السيد القرشي العظيم والقائد الكبير فيعقله بعمامته على أعين الملأ الذين كان أميرهم وقائدهم ويحاسبه فيجيبه عن كل ما سأله . وروي انه بعد أن أطاع وأجاب داعي الخليفة أعاد اليه بلال قلنسوته وعممه بيده قائلا : نسمع ونطيع لولاتنا ونفخم موالينا : (جمع مولى وهو هنا بمعنى السيد) . وروي أيضاً أن عمر استحضر خالدا الى المدينة واعتذر له بعد العتاب بأنه لم يعزله ويأمر فيه بما أمر لريبة وانما رأى أن الناس افتتنوا به وخاف عليه أن يفتتن بهم وقيل انه قال له خفت أن يعبدك أهل الشام .

(لتفسير الآيات بقية)

السنوسية والجامعة الاسلامية (*)

(حقائق نافع بيانها)

لعله ظهر للقارىء من المقالة التي ترجمتها الجريدة من قلم ضابط انكليزي له اطلاع على أحوال أفريقيا الاسلامية ان الاوربيين غير غافلين عن سير المسلمين في سائر شؤونهم وجميع أقاليمهم وتراهم يظهرون من الاهتمام بعض الذين لهم زعامة دينية ويكبرون ماهو مظنة القوة والاجتماع ما يبين للسامع ان رابطة صغيرة بين جماعة قليلة من المسلمين ترى في نظر الاوربيين غولا يخشى اغتياله ويجب ان يحال بينه وبين النمو لئلا يكون شره مستطيرا

والامثلة على ذلك كثيرة نكتفي منها الآن بما يقوله هذا الكاتب الانكليزي الذي ترجمته «الجريدة» قال :

« وقل ان ترى في أوربا من يعلم شيئا كثيرا عن هذا المذهب حتى لوسمع معظم الاوربيين [illegible] في آذان فاهميها وقع شديد ومعنى مرعب . وما يعلم عن هذا المذهب وان قل يغني . بانتشار نفوذه وقوته وانه على مضادته لاوربا لا يبعد ان يكون السبب في اخطار واهوال ربما افضت الى كسح العنصر الابيض من أفريقية كما تنبأ بذلك الدكتور كارل بيتر وهو حجة »

ان هذا الكاتب الانكليزي قد عظم من هول زعامة السنوسي تعظيما جعله يستدبر الصواب استدبارا وتراه قد عزا لهذه الطائفة كل حركات عروق المسلمين في قلوبهم واحشائهم ولا يستطيع الواقف على حقيقة الحال الآن يغيب في العجب اذ يراه يقول ان مصر من جملة البلاد التي يسري فيها نفوذ السنوسي وانها تحركت بأصابع من هذا النفوذ فيا للعجب متى تحركت مصر وكيف تحركت وما هي حركتها واين هو سلك الاتصال بين حركتها والكهرباية السنوسية ولكن ليست مصر وحدها في الانجذاب الى هذه الكهرباية على رأي الكاتب بل كل حركات

---

*) نشرت (الجريدة) ترجمة مقالة لضابط انكليزي تكلم في السنوسية والجامعة الاسلامية كلاما خياليا فعقب عليه السيد عبد الحميد الزهراوي المحرر بالجريدة بهذه المقالة

قلوب المسلمين عموماً وأفريقيا المسلمة خصوصاً فهو يقول :

« ولا ينكر أحد ما يشمل الاقطار الافريقية المسلمة وغيرها من السخط العام الآن واليك شاهداً على ذلك حرب الصومال والحركة المصرية وثورة زولولو والقلاقل التي في مستعمرة المانيا الجنوبية الغربية وحوادث شتى بالشاطئ الغربي. خطوب صغيرة لكنها تنذر بالخطب الاكبر والداهية الدهياء. ثم اضف الى ذلك مسألة المغرب الاقصى ومصاعب فرنسا في شمال أفريقية والحركة الاثيوبية (الزنجية) في الجنوب »

ويقول في مكان آخر « ويظهر ان الاضطراب الذي جرى بمصر حديثاً كان سببه دعاة الطريقة السنوسية هناك وان كان السنوسيون لم يريدوا ذلك الهياج ولم يستحثوه لمجيئه قبل أوانه ولذلك لم ينهضوا بتغذية الفتنة التي اتبعوها » ويقول في الختام « وخلاصة القول ان السخط بين أهالي أفريقية عام طام فشرارة واحدة تضرم النيران من أقصى أفريقية الى اقصاها وفي زعمي ان السنوسية هي مصدر الشررة التي لابد ان تصيب لغم السخط المستقر في صدور الاهالي »

ان امثال هذه الكتابات [illegible] بحكم ويقتضي بالبحث عن تفاسيرها. ولا يظهر لنا من خلال المذاهب المتعددة في تفسير هذه الأحلام التي يظهرها هؤلاء الكتاب الا ان القوم مضطرون لهذا السهر والتجسس على شؤون البلاد التي ملكوها والتي يطمعون ان يملكوها فهم قد عرفوا ان القوة بالتضام والاتفاق ويريدون ان يقطعوا من البلاد التي يطمعون بها كل أرومة التضام ويحرصون على ان يجتثوا كل سنخ للقوة. وقد زعموا ان الطريقة التي عليها السنوسي هي أرومة عظيمة لتجمع المسلمين الناقمين على أوربا وان هذه الجماعة التي حوله سيكونون يوما جيشا جرارا كالجراد يلقف في طريقه كل نابتة من الاوربيين

إما أن تكون هذه المزاعم مصطنعة لتعظم الحكومات الاوربية في أعين شعوبها هول « الخطر الاسلامي » كي تكون تلك الشعوب راضية عن كل فتك بهذه الشعوب ليقطعوا دابر كل تحاب بينهم وتعارف وتعاطف حتى يكونوا افذاذا مقطعي الاطراف مشرفين على الانقراض من غير رثاثة وإما أن تكون قائمة في أذهانهم خطأ أو اسرافاً في سوء الظن أو تكبر في مخيلاتهم من مظاهر التآخي

الديني · وخليق بنا على كلا الوجهين أن لا نمر بهذه المسألة متجاهلين هذه المزاعم التي عليها يبنون صرحاً من سياسة الاسراف بسوء الظن · والكلام في روح هذه المسألة وهي الرابطة الدينية والجامعة الاسلامية تدور حوله اغلاط كثيرة تقع من باحثينا و باحثيهم والاغلاط منشأ سوء التفاهم ومنشأ التنافر الذي ما برحنا نراه بعد في عهد كنا نظنه يتقلص فيه · فلذا رجحنا اليوم أن نخوض غمار هذا البحث غير رامين الا الى تجلية الحقائق التي نعلمها وكلامنا ان لم ينفع في دوائر السياسة ينفع في دوائر العلم التي يطوف حولها الشرقي والغربي متصافحين ونرجو أن يأتي يوم تعلو فيه الحقيقة في هذه المسألة على المزاعم — مصطنعة كانت أم خطأ —

(١)

اللغط في الجامعة الاسلامية

مركز الدائرة في هذه المسألة هي الجامعة الاسلامية وقد شغف كثيرون من الباحثين منا ومن الاوربيين بلوغ الحقيقة في هذه النقطة فأبت على أكثرهم واستعصمت بحجب من الشك ضلّ السبيل على الطالبين فانقسموا فرقاً وسلكوا مذاهب أعقلهم الذين اعترفوا بأنهم لم يروا وجه الحقيقة ومنهم من وصف الذي شبه له زاعماً انها هي الحقيقة · والذين اشتبهوا الوصف والبيان ولم يطيقوا ان يظهروا العجز من بعد البحث والنظر قد اختلفت أقوالهم فمنهم من يثبت وجود هذه الجامعة ومنهم من ينفيه · والمثبتون منهم من يتشاءم به ومنهم من يتيمن ومنهم من لا يبني عليه املاً · ومنهم من لا يوجس منه وجلا

لكن يظهر من الفصول والمقالات الكثيرة التي قرأناها للكتاب الاوربيين ان في أوربا كلمة واحدة عامة بوجود هذه الجامعة وان فيها خطرا على المستعمرات الاوربية أوقد تحول عائقاً عظيما يوماما عن بلوغ أوربا أمانيها من ابتلاع كل بلاد المسلمين ابتلاعاً تاماً · ويؤذن هذا بأن من يقول غير هذه الكلمة منهم هو من الشاذين

والكتاب المسلمون يميل أكثرهم الى تصديق هذا الحدس الاوربي وتلقى أقلامهم بان المسلمين كثيرون وكلهم في الدين اخوان وان مستقبلهم حسن بواسطة

كثرتهم وجامعتهم الدينية وعلى شيء من هذا بنى السيد توفيق البكرى كتابه « مستقبل الاسلام »

والغريب فى الامر ان أكثر الباحثين فى « الجامعة الاسلامية » يبنون فيها الاحكام من غير ان يقولوا لنا ماحقيقتها وماتاريخها . أفذلك لشدة وضوحها أم لأنها ليس لها صورة حقيقية واحدة فهي تصوركا يقوم ظلها فى خيال الكاتبين

(٢)

— حقيقتها —

ما الجامعة الاسلامية الا اتفاق في كلمة واحدة وهي أن القرآن كتاب الله جاء به محمد رسول الله ولكن المطلع على تاريخ المتفقين هذا الاتفاق يعلم أنه لم يدفع عنهم الاختلاف الذي لا اتفاق معه بعد فتنة اختلف المسلمون ثلمت جامعتهم ولم يتفقوا اتفاقا سياسيا بعد عهد عمر ولا اتفاقا دينيا بعد عهد علي . فما هي جامعة قوم مختلفين منذ ثلاثة عشر قرنا اختلافا سياسيا واختلافا دينيا يقاتل بعضهم بعضا ويستبين بعضهم على بعض بأهل [illegible] والخلافة بين الامامين . ماهي جامعة قوم لم يخل يوم من أيامهم من قتال فئة منهم فئة أخرى منذ مقتل خليفتهم الثاني الى يومنا هذا . ماهي جامعة قوم يدبر ملوكهم المختلفون بذهاب ممالك ملوك آخرين منهم . ماهي جامعة قوم حدثنا التاريخ من حديثهم ان أجنبيا شرقيا (هولاكو) أكتسح بلادهم وهم في عزم فلم تتضام أيديهم على مقاتلته وكانت لاتزال قوية على قتال بعضها بعضا . وحدثنا التاريخ من حديثهم أن أجنبيا غربيا (الصليبين) هاجم بلادهم فلم يجتمعوا كلهم على طرده حتى حركت الهمة طائفة منهم قويت وحدها على صده

الجامعة التي يلفظون بها هذه هي : « صورة مكبرة في خيال الأوربيين منتزعة من دعوى المسلمين الأخاء الديني . وصورة محبوبة في خيال المسلمين منتزعة من مس الحاجة الى مثلها على رأيهم » ثم قد أصبح لهاتين الصورتين ظل في الوجود قام عليه الحساب الحاضر فالأوربي يقول يجب محو هذا الظل لئلا يصير شبحا حقيقيا هائلا ويذهبون في محوه مذاهب كما يبين في كتاباتهم المتنوعة المختلفة . والمسلم

يقول يجب جعل هذا الظل شبحاً حقيقياً ليكون بوجوده حامياً حقوقنا أجمعين ولهذا عظم تشبث المسلمين هذه السنين الأخيرة بمسألة هذه الجامعة الاسلامية للدلالة على التضام والترابط ولكن لا يصنع هذا شيئاً ما دام الاختلاف الديني والسياسي قاضيين أن يدوم تقتيل المسلمين بعضهم بعضاً و يقعد بعضهم عن نصرة الآخر .
ولو تدبر الأوربي والمسلم لالتفتا الى أمر نافع غير هذا لأن الظل لا يصير شبحاً .
لو تدبر الاوربي لعرف أن الجامعة الاسلامية قد تخلفها الاسراف في ابادة ملك المسلمين ولعرف المسلم أن هذه الجامعة لا تنفع حتى يقوم العلم الصحيح عندهم مقام التقاليد وتكون الجامعة يومئذ جامعة قومية

(٣)

— السخط العام من الأوربيين —

لو تدبر الأوربيون لعلموا أن السخط العام الحقيقي الذي يرونه ويسمعون به ليس ناشئاً من الجامعة الاسلامية بل هو ناشىء من سوء الادارة وهو يجر الى هياج الشعوب نفسها باسم الخلاص من الظلم لا باسم الدين ويشهد التاريخ أن شعوباً كثيرة هاجت على حكوماتها فاتلها باسم الخلاص من الظلم لا باسم الدين فاذا لم ينتظر الأوربيون من المسلمين الذين تحت حكمهم هياجاً الا باسم الدين فانهم سوف يتعبون من سوء نتائج هذا الخطأ على تمادي الأيام

(٤)

— خطر الجامعة الاسلامية —

وعندي أنه ان صح أمر الجامعة الاسلامية لا ينتظر منها الشر الذي ينذر به كتاب الأوربيين الا أن يكون الشر عندهم هو صد المطامع وايقافها عند حد .
ولماذا لا ينتظرون الا الشر من قوم كان لهم دول عظيمة فلم يسيئوا الى بني آدم كما ينتظرون منهم الآن

(٥)

— السنوسية —

أما السنوسية فطائفة في الصحراء بين طرابلس ومصر ملتفون حول شيخ

طريقة في الارض كثير من أمثالها وأمثاله . وواضع هذه الطريقة هو السيد أحمد بن ادريس وهو رجل من صوفية المغرب وعلمائه رحل الى اليمن وتوفي فيها وهو شيخ الاستاذ المرغني المشهور وشيخ الشيخ ابراهيم الرشيدي وشيخ العلامة السيد السنوسي «محمد علي» المولود عام ١٢٠٤ في مستغانم وقد طلب العلم في فاس ثم رحل الى مكة فلقي أحمد بن ادريس فأخذ عنه التصوف وخلفه في الطريقة واحب أن يؤسس له مركزا في الحجاز فلم يساعد على ذلك فغادر الزاوية التي بناها في جبل أبي قبيس (عند مكة) ورحل الى طرابلس الغرب سنة ١٢٥٥ ه ونزل في الجبل الاخضر و بنى هناك عدة زوايا ثم رجع الى الحجاز سنة ١٢٦٣ فأقام بمكة سبع سنين يقرىء الحديث فنا ذكره وزار مصر عائدا من الحجاز فاجله عباس باشا الخديوي اذذاك وهرع الناس لزيارته ولما كثر مريدوه في صحراء ليبيا أراد أن يعتزل البلاد التي فيها الأمر والنهي لحكومات معروفة فأرشده مريدوه الى جغبوب لعزلتها ووجود الماء هناك فبنى زاوية عام ١٢٧٣ ه وأقام فيها بين عربان البادية الى أن توفي عام ١٢٧٦ ه فخلفه ابنه السيد محمد المهدي السنوسي وقام مقامه بنشر الطريقة وازداد عدد المريدين على عهده جدا ودخل في مريديه ملك وادآي فلذلك أصبح مقامه في تلك الجهات كمقام الملوك لأن مريديه يجبون له عن طيب نفس المفروض عليهم من زكوات اموالهم وهو يصرفها على اللاجئين الى تلك الزوايا من الضعفاء والمرابطين وابناء السبيل

وكل من عرف السنوسية حق المعرفة يمتدحهم على قيامهم في كبد هذه الصحراء بما ينفع بني آدم من المؤاخاة وتقليل الشرور بين القبائل وايواء ابن السبيل وتعليم الجاهل وارشاد الضال فاذا لا يترقب كتاب الأوربيين من هؤلاء الا كل شرورهم قوم قد بعدوا جهد استطاعتهم عن هذه السياسات المبنية على ما لا حد له من الطمع · ولا ذنب لهم الا شبه قوة على الدفاع

هذه حقيقة السنوسية لا مازعمه الكاتب من أنها جمعية سياسية في لباس ديني تتربص بالأوربيين يوماً عبوساً قمطريرا يكون شره من سيوفهم وبنادقهم مستطيرا هذا ولقد حاول جلالة السلطان استدعاء السنوسي الى الاستانة بايعاز من

سياسة أوربية لم تنجح هذه الدعوة ولم تكن نتيجة البعثة التي بعثت لهذه المهمة الا تبادل التحيات والهدايا فالسنوسية في معزل عن هذه الامور ولا نظن بالسيد السنوسي شيخ هذه الطائفة اليوم أنه يبغي من وراء هذه العزلة المخول بنفوس خلق الله الى المذابح البشرية وأبعد شيء عن الصواب زعم الكاتب وأمثاله ان الفروض الدينية هي التي تحمل على ابادة غير المسلم وهذا منتهى الجهل بالتاريخ وقانا الله سوء نتائج الجهالات　　　　عبد الحميد الزهراوي



﴿ الجامعة الاسلامية ﴾

كتب رفيق بك العظم الشهير بمباحثه التاريخية والاجتماعية رسالة في الجامعة الاسلامية أشرنا اليها في الجزء الماضي ووفاء بالوعد نقتبس منها ما يأتي



﴿ عن الجامعة الاسلامية ﴾

علمت أيها القارئ من هذا التمهيد ان الاجتماع يستدعي بطبيعته وجود الروابط القومية والوطنية الخ وان الغرض من هذه الروابط حفظ التوازن بين قوى المجتمعات الانسانية الميالة الى المغالبة بحكم الانانية والطمع وان أقل هذه الروابط تأثيرا في المجتمعات رابطة الدين وان المسلمين لم تجمعهم هذه الجامعة يوماً حتى ولا على التعاون على دفع الكوارث الكبرى التي حلت ببلاد الاسلام من هجمات أهل الصليب والتتار ولو اجتمع المسلمون امام أمثال هذه الجوامع الكبرى سواء في ذلك الوقت أو الآن أو كل زمان لأتوا عملاً تستدعيه طبيعة الوجود لا سبة فيه ولا مؤاخذة عليه الا اذا محيت من صفحات الوجود قوانين الروابط الاجتماعية بحكم الاخوة الانسانية والمساواة العامة بين افراد البشر وأقوامهم ولا يكون هذا الا اذا استبدل البشر بخلق آخرين من جنس الملائكة المطهرين

اذا تقرر هذا فاعلم ان دعوى القائلين بخطر الجامعة الاسلامية المتوقع بعدما

الذي يريده أولئك القائلون مدفوعة من وجوه

الوجه الاول : ان الجوامع الجنسية غالبة عند الامم وأخصها الأمة الاسلامية لهذا نرى المسلمين قد مزقهم الاوربيون وتشاطر ملكهم الدول المسيحية دون أن يمد بعضهم يد المعونة الى بعض باسم الدين والجامعة الاسلامية لقلة العصبية الدينية وتخاذلهم المعروف الناشئ عن تحاسد أمرائهم الذين أعماهم الجهل وحب الذات والانانية الباطلة حتى عن الاعتصام بالجوامع السياسية التي تقضي بها أحيانا للمصالح المتحدة بين دول الارض

الوجه الثاني : ان المسلمين ولو اجتمعوا باسم الدين لمناهضة دول أوربا فلا يكون اجتماعهم خطرا على المدنية كما يذهب اليه سياسيو المغرب بل يكون وفاء بحق القومية ورجوعا الى الاعتصام بالرابطة العامة التي يمكنها أن تقابل رابطة الدول المسيحية الغربية التي اجتاحت أغلب ممالك الاسلام وكانت خطرا كبيرا على حياة المسلمين السياسية وقد أبنا فيما سبق ان قوانين الاجتماع الطبيعية تقضي على الشعوب بالدوام على تجمعها والذب عن استقلالها الى أن يصبح البشر كله في حقوق الانسانية والتمتع بثمرات الحياة سواء

الوجه الثالث : أن القول بالجامعة الاسلامية واتحاد الاسلام وغير ذلك من الالفاظ الوضعية التي أراد واضعوها ايغار صدور الأمم على المسلمين انما هي من موضوعات السياسيين في هذا العصر لم ترد في تاريخ الاسلام وليس لها في الدول الاسلامية شأن غير سياسي أصلاً وهو شأن الدول القائمة والأمم القائمة في كل عصر وعلى تقدير ان هناك مايدعو الى القول باتحاد المسلمين في هذا العصر فمنشأوه اتحاد أوربا على اكتساح ممالك الاسلام واستعباد المسلمين فليسموا اتحاد المسلمين بإزاء اتحادهم الاتحاد الديني أو الجامعة الاسلامية أو الشرق والغرب أوماشاؤا من الاسماء أفليس معنى ذلك كله ان المسلمين يريدون الاعتصام بجامعة كبرى تقابل اجتماع الدول المسيحية على اهتضام حقوق الامم الاسلامية

من العجيب أن الدول الاوربية التي تسوغ لنفسها الحق بالاستيلاء على الممالك الشرقية والقضاء على حياة المسلمين السياسية لاتسوغ للمسلمين الحرص على هذه

الحياة بأن يحموا بقوة الاجتماع والائتلاف ذمارهم ويصونوا من عبث العابثين استقلالهم وان ينادي ساستهم أن في وجود الجامعة الاسلامية خطرا على أوربا وبعبارة أوضح على سياسة دولها الموجهة الى تدويخ الممالك الاسيوية والافريقية ولا يجوز أن يقول المسلمون أن في وجود الجامعة المسيحية الاوربية خطرا على الممالك الاسلامية مع تحقق الخطر من قبل هذه وانتفائه من قبل تلك

ان ساسة المغرب يوهمون العالم أن الجامعة الاسلامية خطر على المدنية لاصطباغها بصبغة دينية مع أنها خير على المدنية وأرجى لنفع الانسانية لو قام بها المسلمون واليك البيان

﴿ الاسلام والجامعة الاسلامية ﴾

من المعلوم بالضرورة أن معنى الدعوة الى الدين هو ربط أفراد كثيرين وأقوام عديدين بعقيدة واحدة فالأمة التي تدين بدين واحد مسوقة بضرورة المشاركة في الاعتقاد الى المشاركة في العواطف وهذا هو الارتباط الديني الذي قلنا أنه كباقي الروابط طبيعي بين البشر مادام يوجد دين وأديان والاسلام من هذه الوجهة كباقي الأديان الا أنه يمتاز بأمرين جديرين بالنظر والاعتبار وهما توجيهه بشأن الأرتباط الأخوي بين المسلمين ارتباطا خاصا ثم الارتباط الانساني بين الناس كافة ارتباطا عاما ومما جاء في الأمر الأول قوله تعالى في القرآن الكريم (إنما المؤمنون اخوة) وقوله (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) وقوله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) وفي الحديث النبوي (المسلمون تتكافأ دماءهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم) وفي الحديث أيضاً (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) ولهذا كانت رابطة التعاون والإخاء عقيدة من عقائد المسلمين وان تناسوها ولم يعملوا بها الا قليلا

ومما جاء في الأمر الثاني في الرابطة الانسانية قوله تعالى (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وفي الحديث (لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى)(١)

(١) أين هذا مما يعتقده الاوربي من أنه أفضل البشر وأسماهم

وأنت ترى من هذا أن الاسلام له رابطتان رابطة العواطف التي يشترك بها كل أرباب دين ورابطة التعاون والاخاء التي يدعو اليها بالفعل الا أنه بين معنى هذا التعاون في أنه على الخير دون الشر وعلى البر بالناس دون العدوان عليهم لكي يكون ارتباطهم بجامع الاخاء الديني واجتماعهم عليه غير مقصود به العدوان بل المحاسنة والاحسان وصريح قوله بالاجتماع وعدم التفرق محمول على ما تستدعيه حالة الاجتماع من لزوم حفظ البيضة وكف الايدي العادية عن المجتمع وهذا ضروري للمجتمعات كما أشرنا اليه في التمهيد

ثم لكي لا تكون جامعة الدين سبباً للعدوان مع الآخرين بل وسيلة الى التدرج في مدارج الانسانية في أعم مظاهرها وهي المساواة العامة بين أفراد البشر وأقوامهم فيما تقتضيه حقوق الانسان على الانسان من الكرامة وحسن الجوار وتبادل المنافع والاعمال التي جعلت الانسان مدنيا بالطبع أي محتاجا الى التعاون مفتقراً بعضه الى بعض قال الله تعالى ارشادا للمؤمنين الى ذلك (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى) الآية

هذه هي الوحدة الدينية التي يدعو اليها الاسلام أفلا يرى المنصفون من كل قبيل أن الجامعة الاسلامية التي يوهم ساسة الغرب العالم المسيحي بخطرها على المدنية اذا اصطبغت بصبغة الدين هي خير للمدنية من أن لا تصبغ بهذه الصبغة (٢) وأن فوضى العقول عند الطوائف الاسلامية تأتي بما هو شر على المدنية مع تنكر نفوس المسلمين لهذا العهد لما تأتي به دول أوربا لمضادتهم ومضادة دولهم من أساليب المكر والخديعة توصلا لامتهان حقوقهم وسلب استقلالهم ووطء بساط ملكهم حيثما كان

اللهم ان المسلمين ما قذف بهم في لج الحيرة ووقف بهم عن السير مع الامم الراقية في سبيل المدنية الصحيحة وكشف ما بينهم وبين الامم المتمدنة فرموهم بكل نقيصة ونالوهم بكل سوء الا انفصام عروة وحدتهم الدينية والخروج عن

---

(٢) ان حزب الاصلاح الاسلامي الداعي الى اصلاح الدين هو الذي يريد مثل هذه الوحدة ويدعو اليها لما فيه من التقارب بين الشعوب

قانونها الجامع الذي يرمي الى غرض الاجتماع الصحيح والمدنية الفاضلة ويريد الشعوب على توحيد الكلمة لضرورة القيام على شؤون الحياة المدنية وانما يتحقق معنى الحياة في قوم أعزوا جانبهم وذادوا عن حوضهم وكانوا يدا على من ناواهم واقسطوا في المعاملة الى من عداهم وهذا ما يريده الاسلام

من الظلم أن يمثل ساسة الغرب الجامعة الاسلامية بصبغتها الدينية في صورة ينكرها الاسلام ويأباها العدل ولا تنطبق على نص من نصوص الدين كما رأيت وحسبك من الدين والتاريخ دليلا على أن الاسلام لا يحض أهله على الجامعة الا ليكونوا يدا على من ناواهم وأن يقسطوا الى من سواهم وان افترق عنهم في الدين مالم يبادئهم بالعدوان ويريدهم بالسوء - إن بعض القرشيين من المشركين كانوا يزورون بعض المهاجرين من ذوي قرابتهم في المدينة فلا يقبلون عليهم ولا يحسنون اليهم لما عرفت به قريش من الشدة على المسلمين والاصرار على الشرك فنزلت في تنبيههم الى أن الدين لا يمنع من الاحسان الى غير أهله ماداموا غير مناوئين للمسلمين هذه الآية (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم إن الله يحب المقسطين)

وهذا التسامح الذي عرف به الاسلام ونبه عليه القرآن هو الذي سد كل منفذ من منافذ الاغراض السياسية التي تفسد نظام الاجتماع وتفرق وحدة الانسانية وتلقي العداوة والبغضاء بين بني الانسان فلم يستطع زعماء السياسة في الدول الاسلامية جمع الشعوب العائشة في البسيط الاسلامي على كلمة الاسلام بقوة الاكراه ولم يسعهم أن يعاملوا مخالفيهم في الدين بضروب من العنت تلجئهم ولو الى الهجرة والجلاء من بلاد بسط عليها الاسلام جناح سلطانه وآخر من نعهد أنه حاول ذلك من ملوك المسلمين السلطان سليمان العثماني فانه لما رأى شغب المسيحيين في ولاياته الأوربية وتوالي خروجهم عن الطاعة وعلم ان بقاءهم على النصرانية خطر على تلك الولايات استفتى علماء عصره في اكراههم على الاسلام فأبوا أن يفتوه بذلك وكان ما توقعه ذلك السلطان من الخطر على تلك البلاد فضلاً عما لاقته الدولة العثمانية من النصب والتعب في سياسة أهلها ولم تزل تلاقيه فيما بقي منها في حوزتها الى الآن

ان السياسيين وأهل الانانية المتوحشة في أوربا الذين يرجفون بخطر الجامعة الاسلامية لايرون ان من الخطر على المدنية والعبث بنظام الألفة الانسانية والوحدة البشرية اضطهاد المسلمين الذين تحت كنفهم وارهاقهم بضروب من الاذلال والاعنات قصد القضاء عليهم واستئصال شأفتهم باسم السياسة ويرون ان من الخطر على المدنية وجود جامعة إسلامية تعامل باسم الدين مخالفيهم في السياسة والدين معاملة الا كفاء في الانسانية والشركاء في الوطنية كما سبق بيانه أفليس في هذا مايدعو الى الحكم على رجوع الانسانية القهقري وتقدم المدنية الى الوراء

حقاً ان هذه (السياسة) المطلقة من قيود الانسانية والوجدان ومن قيود الحق والعدل تشبه في تشكلها حكايات التيلان الواردة في أساطير الأولين وتماثيل إله الشر عند اليونانيين فالسياسيون اذا ساقوا الشعوب الى الدمار وقتلوهم بالسيف والنار قالوا أنها السياسة واذا وطئوا بأقدامهم الحقوق وامتهنوا الشرائع اتهموا السياسة واذا أخطأوا خطأ يجلب على بلادهم الدمار وعلى دولتهم العار تذرعوا بالسياسة وبالحق حينا [illegible] تقاصرا امامهم السياسة فالسياسة عندهم (كالجسم المرن) قابلة التشكل بأشكال الأهواء التي تنبعث في نفوسهم وتدعوهم اليها أطماعهم ولهذا لما استباحوا لجامعتهم الأوربية المسيحية السياسية اضطهاد الجامعة الاسلامية في ملكها ودينها وأهلها ورأوا أن يأتوا لهذا العهد على البقية الباقية أخذوا يصيحون بخطر الجامعة الاسلامية تمهيداً لمقاصدهم السيئة وتكفيراً عن اجرامهم الى المسلمين أمام العقلاء وانصار العدل والفضيلة من أهل البلاد الأوربية ولسوف يعلمون أنهم مخطئون اهـ

(المنار) ويلي هذا فصل في الرسالة عنوانه « أوربا والجامعة الاسلامية » فيه كثير من الحقائق التاريخية والعبر



حجة الاسلام أبو حامد الغزالي

﴿ رأيه في التعلم والتعليم ﴾

بينا كيف تعلم أبو حامد الغزالي حتى صار حجة الاسلام، وإمام العلماء الأعلام، وهو أنه اجتنب التقليد وجرى على طريق الاستقلال، وكيف ربى نفسه بالرياضة والعمل حتى صار شيخ العارفين، وصفوة الصديقين، ونقفي على ذلك ببيان رأيه في التعلم والتعليم والعلوم وتربية النفس والكمال البشري في الدنيا باستخلاص ذلك من كتبه وتقديمه زبدة نقية لطلاب الكمال في العلم والمعرفة والعمل والمجاهدة وما يتبع ذلك حتى كأن المطلع عليه أدرك حجة الاسلام في نهايته، وأخذ عنه صفوة حكمه، وما كان ليتيسر لنا هذا لولا أن سبق لنا مطالعة هذه الكتب من قبل بقصد الاهتداء بها، وأخذ المقالات منها، وقد كنا كتبنا في المنار ان كتابه إحياء علوم الدين كان أستاذنا الأول وانا وفقنا لمطالعته قبل الشروع في طلب العلوم الآلية والشرعية وبإرشاده كان لهذا العاجز طريقة خاصة في الطلب مقرونة بالنية الصالحة كان من أثرها ما عبر عنه شيخنا الشيخ حسين الجسر بقوله في ملأ من الناس بدار علي أفندي السمين بطرابلس الشام ان فلانا ساوى في سنة واحدة من سبق لهم الاشتغال على سبع سنين من أذكياء الطلاب، والفضل في هذا بعد عناية الله وهدايته لأبي حامد الغزالي جزاه الله عنا خير الجزاء وإنما صرحت بهذا ليعلم من يقرأ ترجمة حجة الاسلام في المنار أني أجري فيها على بينة وخبرة، لا كمن يريد ان يكتب عن عالم أو حكيم فينظر عند الكتابة الى بعض ما قيل فيه وبعض ما يؤثر عنه فيختطف من ههنا عبارة ومن هناك أثارة ويجعل ذلك ترجمة، ولترغيب طلاب العلوم لا سيما الازهريين منهم في التأمل والتبصر فيما نكتب عن هذا الامام وتحري الاستفادة منه ولعل ذلك يكون مشوقا لهم الى مطالعة الاحياء وغيره من كتبه

﴿ رأي الغزالي فيما يطلب من المتعلم ﴾

نلخص ما يأتي من كتاب العلم من الاحياء مقروناً بالعبرة فقد جاء في الباب الخامس منه في آداب المتعلم والمعلم ما يأتي : أما المتعلم فآدابه ووظائفه (*) كثيرة ولكن ينظم تفاريقها عشر جمل

وظائف طالب العلم وآدابه

« (الوظيفة الأولى) تقديم طهارة النفس عن رذائل الاخلاق ومذموم الأوصاف اذ العلم عبادة القلب وصلاة السر وقربة الباطن الى الله تعالى وكما لا تصح الصلاة التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة الا بتطهير الظاهر عن الأحداث والأخباث فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم الا بعد طهارته عن خبائث الأخلاق وأنجاس الاوصاف »

أقول ثم أطال في هذا وقد اشترط مثله صاحب الذريعة الى مكارم الشريعة لطالب علم الحقائق فقال « وحق المترشح لعلم الحقائق أن يراعي ثلاثة أمور — الأول أن يطهر نفسه من رديء الأخلاق تطهير الأرض للبذر من خبائث النبات وقد تقدم أن الطاهر لا يسكنه الا طاهراً وأن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب » وقد شرح الغزالي هنا حديث عدم دخول الملائكة بيتاً فيه كلب (وهو في الصحيحين) بطريق الإشارة والاعتبار فقال :

« واعلم ان القلب المشحون بالغضب والشره الى الدنيا والتكالب عليها والحرص على التمزيق لأعراض الناس كلب في المعنى وقلب في الصورة ، فنور البصيرة يلاحظ المعاني لا الصور ، والصور في هذا العالم غالبة على المعاني باطنة فيها ، وفي الآخرة تتبع الصور المعاني وتغلب المعاني فلذلك يحشر كل شخص على

(*) هي جمع وظيفة وهو استعمال مولد وأصل الوظيفة من الشيء ما يقدر له في كل يوم من رزق أو طعام أو شراب أو علف للدواب ذكره في لسان العرب وقال : وظفه توظيفاً ألزمها إياه (أي الوظيفة) وقد وظفت له توظيفاً على الصبي كل يوم حفظ آيات من كتاب الله عز وجل ، اه فإطلاق أهل العصر الوظيفة على أعمال الحكومة له وجه وجيه

المشفق الحاذق . وينبغي ان يتواضع لمعلمه و يطلب الثواب والشرف بخدمته . . .
فلا ينبغي لطالب العلم ان يتكبر على المعلم ومن تكبره على المعلم أن يستنكف عن
الاستفادة الا من المرموقين المشهورين وهو عين الحماقة . ومهما أشار عليه المعلم
بطريق في التعلم فليقلده وليدع رأيه فان خطأ مرشده أنفع له من صوابه في نفسه
اذ التجربة تطلع على دقائق يستغرب سماعها مع انه يعظم نفعها . . . و بالجملة كل
متعلم استبق لنفسه رأيا واختيارا دون اختيار المعلم فاحكم عليه بالاخفاق والخسران »

أقول ذكر في هذه الوظيفة كثيرا من الآداب قد يتوقف في تقليد المعلم منها
و يظن ان هذا مخالف لما ذكرناه عنه من سلوك طريق الاستقلال في العلم وانما
يظن هذا من يغفل عن الفرق بين العلم نفسه و بين طريق التعليم فتحكم الطلاب
في طريقة الاستاذ في التعليم خرق وفساد لا يجوز بحال ولو جاز هذا لكان مؤديا
الى المحال عند ما يقترح كل طالب طريقة غير التي اقترحها الآخر وأنى يكون
للتلميذ رأي في طرائق التعليم وهي مما لا يعرف الصواب فيها الا بعض العلماء الخبيرين
وانما ينبت هذا على [illegible] لطلاب الطريق [illegible] كثيرا منهم يعدون
عقبة في طريق إصلاح التعليم لما جروا عليه من العادات في المطالعة والفهم بطريق
التفكيك وتتبع المفردات والاعراض عن الأساليب والتزام الشروح والحواشي
والتقارير وقد كلمت غير واحد من المدرسين في تحسين طريقة التعليم بالجري
على الاساليب الحديثة فاعتذروا بأن المجاورين يتبرمون دروسهم اذا هم تركوا
المألوف فيها . وانما يأتي هذا الافساد من المجاورين الذين ألفوا طريقة الازهر
العتيقة بطول الجري عليها اذ المبتدئ لا رأي له وكان المنتظر من هؤلاء اذا تحكموا
في ذلك أن يكونوا وسيلة للاصلاح لا للابقاء على الخطأ القديم . نعم ان فيهم من يطلب
الاصلاح فلا يجده وهم الاذكياء من تلاميذ الاستاذ الامام رحمه الله تعالى وقد
وجدوه الآن بمدرسة القضاء الشرعي وسيظهر أثر ذكائهم واستقلالهم بعد زمن
قصير ان شاء الله تعالى

على أن التقليد في الطريقة ضروري للمبتدئ حتى يصير اهلا للنظر والاستدلال،
فعند ذلك يسلك طريق الاستقلال ، ثم قال

(الوظيفة الرابعة) أن يحترز الخائض في العلم في مبدإ الامر عن الاصغاء الى اختلاف الناس سواء كان ماخاض فيه من علوم الدنيا أو من علوم الآخرة فان ذلك يدهش عقله ويحير ذهنه ويفتر رأيه ويؤيسه من الادراك والاطلاع بل ينبغي ان يتقن أولا الطريقة الحميدة المرضية عند أستاذه ثم بعد ذلك يصغي الى المذاهب والشبه، وان لم يكن أستاذه مستقلا باختيار رأي واحد وانما عادته نقل المذاهب وما قيل فيها فليحذر منه فان إضلاله أكثر من ارشاده فلا يصلح الاعمى لقود العميان ارشادهم · ومن هذا حاله فهو بعد في عمى الحيرة وتيه الجهل

« ومنع المبتدي عن الشبه يضاهي منع الحديث العهد بالاسلام من مخالطة الكفار · وندب القوي الى النظر في الاختلافات يضاهي حث القوي على مخالطة الكفار ولهذا يمنع الجبان من التهجم على صف الكفار و يندب الشجاع له · ومن الغفلة عن هذه الدقيقة ظن بعض الضعفاء أن الاقتداء بالأقوياء فيما ينقل عنهم من المساهلات جائز ولم يدر أن وظائف الاقوياء تخالف وظائف الضعفاء » الخ

أقول وقد جرى الغزالي على ذلك فانه أتقن في الفقه مذهب الشافعي وفي الكلام مذهب الاشعري ثم نظر في سائر المذاهب والآراء على طريق الاستقلال ومن لم يتقن في أول أمره شيئا فقلما يستفيد بعد ذلك من الخلاف الا حيرة واضطرابا · وما حذر عنه من الاخذ عن الذين ينقلون المذاهب والاقوال و يعجزون عن تأييد شيء منها هو من أنفع ما يساق الى مجاوري الازهر الذي يكثر فيه أمثال هؤلاء المعلمين الذين لا يكادون يجزمون في مسألة خلافية بشيء · واشتهر بعض كبرائهم بذلك حتى صار بعض المجاورين يظن ان سرد الاقوال والآراء في المسألة هو الكمال في العلم وما هو الا منتهى الجهل الذي يذهب بالاستعداد للعلم حتى ان من طال عهده به لا يمكن ان يكون عالما وحسبك بحجة الاسلام مخبرا وناصحا · ثم قال

(الوظيفة الخامسة) أن لا يدع طالب العلم فنا من العلوم المحمودة ولا نوعا من أنواعه الا و ينظر فيه نظرا يطلع به على مقصده وغايته ثم ان ساعده العمر طلب التبحر فيه والا اشتغل بالأهم منه واستوفاه وتطرف من البقية (أي أخذ منها الطرف

والنوادر) فان العلوم متعاونة وبعضها مرتبط ببعض ويستفيد منه في الحال الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله فان الناس أعداء ما جهلوا قال تعالى (٤٦ : ١١ وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم) وقال الشاعر:

ومن يك ذا فم مرّ مريض يجد مرّا به الماء الزلالا

فالعلوم على درجاتها اما سالكة بالعبد الى الله تعالى أو معينة على السلوك نوعا من الاعانة ولها منازل مرتبة في القرب والبعد من المقصود. والقوّام بها حفظة كحفاظ الرباطات والثغور ولكل واحد رتبة وله بحسب درجته أجر في الآخرة اذا قصد به وجه الله تعالى » اهـ كلامه

أقول وهذا الكلام الاخير مبني على ماقرره في هذا الكتاب من كون جميع العلوم النافعة في الدين أو الدنيا مفروضة دينا حتى فنون الصناعات التي عليها مدار المعيشة فانها من فروض الكفايات كفنون الفقه وكصلاة الجنازة ومتى صلحت نية القائم بها وأحسن عمله بالصدق وعدم الغش كان بعمله هذه الفنون و بعمله فيها عابدا لله تعالى مستحقا الثواب في الآخرة

وأما ماقرره من طلب الاطلاع على جميع العلوم والفنون المتداولة في العصر فهو ما جرى عليه في تربيته لنفسه وعليه علماء فن التعليم من أهل هذا العصر وهو حجة على كثير من شيوخ الدين عندنا فانهم لجهلهم بأنفع علوم العصر الكونية والعقلية يعادونها وينفرون طلاب العلوم الدينية منها فيجنون بذلك على دين أمتهم ودنياها ويصدون الناس عن الدين بزعمهم ان هذه العلوم تنافي الدين كما قاله الامام الغزالي في أمثالهم من أهل عصره وسيأتي نقله عنه في فصل الكلام عن رأيه في العلوم . ثم قال :

« (الوظيفة السادسة) ان لايخوض في فن من فنون العلوم دفعة بل يراعي الترتيب ويبتدىء بالاهم فان العمر اذا كان لايتسع لجميع العلوم غالبا فالحزم ان يأخذ من كل شيء أحسنه ويكتفي منه بشمة ويصرف جمام قوته في الميسور من علمه الى استكمال العلم الذي هو أشرف العلوم وهو علم الآخرة »

أقول ان هـذا مسلم في جملته عند علماء فن التربية والتعليم من أهل هـذا العصر وهو مرتبط بما تقدم في الوظيفة الخامسة وقد صار الكثيرون من أهل الغرب الذين اتسعت عندهم دائرة العلوم وكثرت فروعها يصرفون جمام قوتهم الى اتقان فرع من فروع العلم الواحد كطب العيون أو طب الآذان أو طب الامراض العصبية من علم الطب مثلا وذلك بعد تناول طرف من كل علم وفن كما تقدم · وأما كون علم الآخرة هو أشرف العلوم فسيأتي بيان المراد منه وقد ذكر فيه هنا مالم نر من الصواب ذكره ثم قال

(الوظيفة السابعة) ان لايخوض في فن حتى يستوفي الفن الذي قبله فان العلوم مرتبة ترتيبا ضروريا و بعضها طريق الى بعض والموفق من راعى ذلك الترتيب والتدريج قال تعالى (٢ : ١٢١ الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته) أي لايجاوزونه حتى يحكموه علما وعملا وليكن قصده في كل علم يتحراه الترقي الى مافوقه · فينبغي ان لا يحكم على علم بالفساد لوقوع الخلاف بين أصحابه فيه ولا بخطأ واحد أو آحاد فيه ولا بمخالفتهم موجب علمهم بالعمل · فترى جماعة تركوا النظر في العقليات والفقهيات متعللين فيها بأنها لو كان لها أصل لأدركه أربابها وقد مضى كشف هذه الشبهة في معيار العلم · وترى طائفة يعتقدون بطلان الطب لخطأ شاهدوه من طبيب ، وطائفة اعتقدوا صحة النجوم لصواب اتفق لواحد وطائفة اعتقدوا بطلانه لخطأ اتفق لآخر · والكل خطأ بل ينبغي ان يعرف الشيء في نفسه فما كل علم يستقل بالاحاطة به كل شخص ولذلك قال علي رضي الله عنه : لاتعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله : »

أقول ان هذه الوظيفة توجد في أكثر النسخ وسقطت من النسخة التي شرح عليها الزبيدي فالوظائف فيها تسع · وقد ذكر فيها أمران أحدهما ترتيب العلوم وهو مما لامجال للخلاف فيه لاسيما في العلوم المتحدة في النوع كالرياضيات فان من لايتقن الحساب لا يفهم الهندسة لتوقفها عليه والهيئة الفلكية متوقفة عليهما جميعا · ولأهل هذا العصر في ترتيب العلوم بالمدارس النظامية إتقان أي إتقان · والامر الثاني الحكم على العلوم بالوقوف عليها ومعرفة موضوعها وغايتها وأهم مسائلها

لا باعتبارات خارجية تؤخذ من حال أهلها كما ينفر بعض شيوخنا عن علوم العصر بشبهة قلة التمسك بالدين من أكثر متعلميها وما يدريهم أن ذلك جاء من سوء التربية لا من طبيعة العلوم والحكم على الشيء فرع عن تصوره كما يقولون قال

(الوظيفة الثامنة) أن يعرف السبب الذي به يدرك أشرف العلوم وان ذلك يراد به شيآن أحدهما شرف الثمرة والثاني وثاقة الدليل وقوته وذلك كعلم الدين وعلم الطب فان ثمرة أحدهما الحياة الأبدية وثمرة الآخر الحياة الفانية فيكون علم الدين أشرف ، ومثل علم الحساب وعلم النجوم فإن علم الحساب أشرف لوثاقة أدلته وقوتها وان نسب الحساب الى الطب كان الطب أشرف باعتبار ثمرته ، والحساب أشرف باعتبار أدلته ، وملاحظة الثمرة أولى ولذلك كان الطب أشرف وإن كان أكثره بالتخمين . وبهذا تبين أن أشرف العلوم العلم بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله والعلم بالطريق الموصل الى هذه العلوم فإياك وان ترغب لا فيه وان تحرص الا عليه »

أقول يعني بالطريق الموصل الطريقة الصوفية التي يوصل [illegible] بعد ان انقطعت به الطرق الأخرى من الكلام والفلسفة ومذاهب الباطنية وهكذا شأن الدعاة يتطرقون الى مقصدهم من كل ناحية تنحوها . ومن الناس من يقول أن أبا حامد يجذب الناس الى الآخرة حتى يوشك أن تكون قراءة الإحياء وما شاكله من كتبه من أسباب تعطيل مصالح قارئيه وإضاعة دنياهم وهجر سائر العلوم والفنون وليس كذلك كما ترى في الوظيفة الآتية وانما هو دعوة الى الكمال وستبين تحقيق ذلك بعد . ثم قال

(الوظيفة التاسعة) أن يكون قصد المتعلم في الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة وفي المآل القرب من الله سبحانه والترقي الى جوار الملأ الأعلى من الملائكة والمقربين ولا يقصد به الرياسة والمال والجاه ومماراة السفهاء ومباهاة الأقران ، واذا كان هذا مقصده طلب لامحالة الأقرب الى مقصده وهو علم الآخرة ومع هذا فلا ينبغي له أن ينظر بعين الحقارة الى سائر العلوم أعني علم الفتاوى (يعني به مايسمى الفقه) وعلم النحو واللغة المتعلقين بالكتاب والسنة وغير ذلك مما

أوردناه في المقدمات والمتمات من ضروب العلوم التي هي فرض كفاية (كفنون الصناعات كلها) ولاتفهمن من غلونا في الثناء على علم الآخرة تهجين هذه العلوم فالمتكفلون بالعلم كالمتكفلين بالثغور والمرابطين بها والغزاة المجاهدين في سبيل الله منهم المقاتل ومنهم الرده ومنهم الذي يسقيهم الماء ومنهم الذي يحفظ دوابهم و يتعهدها ولاينفك أحد منهم عن أجر اذا كان قصده إعلاء كلمة الله تعالى دون حيازة الغنائم فكذلك العلماء قال الله تعالى (٥٨ : ١١ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) وقال تعالى (٣ : ١٦٣ هم درجات عند الله) والفضيلة نسبية (أي بينهم) واستحقارنا الصيارفة عند قياسهم بالملوك لايدل على حقارتهم اذا قيسوا بالكناسين . فلا تظن أن مانزل عن الرتبة القصوى ساقط القدر بل الرتبة العليا للأنبياء ثم الأولياء ثم العلماء الراسخين في العلم ثم الصالحين على تفاوت درجاتهم . وبالجملة من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » ومن قصد الله بالعلم أو بعمل كان نفعه ورفعه لامحالة»

أقول يعني رحمه الله تعالى أنه ينبغي لطالب الكمال أن يطلب بالعلم الذي يتوجه لتحصيله وجه الله تعالى أي الوجه الذي يرضيه وهو الذي فيه إقامة سننه في النظام العام ومنفعة الأنام وذلك مدعاة لاتقان الأعمال وحسن النية فيها وانتفاء الغش بها وهل ثم من طريق للكمال الانساني أقرب من هذا ؟ ألسنا نشاهد فشو الغش والطمع والاحتيال والقسوة وأشباه هذه الرذائل في أهل العلوم والفنون والصنائع الذين لايعرفون الله ولايبتغون وجهه ؟ ثم قال :

« (الوظيفة العاشرة) أن يعلم نسبة العلوم الى المقصد كما يؤثر الرفيع القريب على البعيد والمهم على غيره ومعنى المهم ما يهمك ولا يهمك الا شأنك في الدنيا والآخرة واذا لم يمكنك الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الآخرة كما نطق به القرآن ، وشهد له من نور البصائر مايجري له من مجرى العيان ، فالأهم ما يبقى أبد الآباد ، وعند ذلك تصير الدنيا منزلا والبدن مركبا والاعمال سعياً الى المقصد ولا مقصد الا لقاء الله تعالى ففيه النعيم كله وان كان لايعرف قدره في هذا العالم الا الأقلون » الخ ماأطال به في هذه المسألة

أقول اذا أخذنا قول أبي حامد هنا على ظاهره نحكم بأنه غلط في قوله إن القرآن نطق بأنه لا يمكن الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الآخرة فاننا نسمع منادي القرآن يتلو علينا في سورة الاعراف وهي من السور المكية التي بين فيها أصول الدين وكلياته « ٧ : ٣٢ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون » ولكن المعقول الذي نطق به القرآن هو أن من آثر الحياة الدنيا على الآخرة وكان لا يعمل الا للذاتها وشهواتها يفوته حظه من الآخرة كله أو بعضه وذلك ان حظ الانسان في الآخرة يكون على حسب ارتقاء نفسه في الحق والخير والاخلاص وغير ذلك من ثمرات الايمان وايثار الشهوات يضعف هذه الاشياء حتى يذهب بها من النفس فتبقى حيوانية شيطانية . ومن الآيات المثبتة لهذا التفصيل قوله (٢ : ٢٠٠ فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق ٢٠١ ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ٢٠٢ أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب) وقوله (٧٩ : ٣٧ فأما من طغى ٣٨ وآثر الحياة الدنيا) الخ الآيات . واننا نجد في كلام أبي حامد ما يوافق هذا التفصيل في مواضع من الاحياء ككتاب ذم الدنيا وكتاب ذم المال والجاه وغيرها من كتب الاحياء ولذلك يمكن حمل كلامه هنا على ان المراد بكل من ملاذ الدنيا ونعيم الآخرة مرتبة الكمال فيهما فان من كان همه استكمال اللذات البدنية لا يمكنه أن يستعد لتحصيل كمال نعيم الآخرة المعبر عنه بلقاء الله تعالى والفوز برضوانه الاكبر بل ربما تعذر عليه الاستعداد لما دون ذلك كما يفهم من التفصيل المذكور آنفاً

ثم بين أبو حامد بعد وظائف المتعلم وظائف المعلم المرشد ويعني بالمرشد المربي للنفس المهذب للأخلاق فقال :

بيان وظائف المعلم المرشد

« اعلم ان للانسان في علمه أربعة أحوال كحاله في اقتناء الأموال اذ لصاحب المال حال استفادة فيكون مكتسباً وحال ادخار لما اكتسبه فيكون به غنياً عن

السؤال وحال اتفاق على نفسه فيكون منتفعاً وحال بذل لغيره فيكون به سخياً متفضلاً وهو أشرف أحواله . فكذلك العلم يقتنى كالمال فله حال طلب واكتساب وحال تحصيل يغني عن السؤال وحال استبصار وهو التفكر في المحصل والتمتع به وحال تبصير وهو أشرف الأحوال فمن علم وعمل وعلم فهو الذي يدعى عظيماً في ملكوت السموات فإنه كالشمس تضيء لغيرها وهي مضيئة في نفسها وكالمسك الذي يطيب غيره وهو طيب . والذي يعلم ولا يعمل به كالدفتر الذي يفيد غيره وهو خال عن العلم ، وكالمسن الذي يشحذ غيره ولا يقطع ، والابرة التي تكسو غيرها وهي عارية ، وذبالة المصباح (فتيلته) تضيء لغيرها وهي تحترق كما قيل :

ما هي الا ذبالة وقدت تضيء للناس وهي تحترق

ومهما اشتغل بالتعليم فقد تقلد أمراً عظيماً وخطراً جسيماً فليحفظ آدابه ووظائفه

(الوظيفة الاولى) الشفقة على المتعلمين وأن يجريهم مجرى بنيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنما أنا لكم مثل الوالد لولده» (*) بأن يقصد إنقاذهم من نار الآخرة وهو أهم من إنقاذ الوالدين ولدهما من نار الدنيا ولذلك صار حق المعلم أعظم من حق الوالدين فان الوالد سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية والمعلم سبب الحياة الباقية ولولا المعلم لانساق ما حصل من جهة الأب الى الهلاك الدائم وانما المعلم هو المفيد للحياة الأخروية الدائمة أعني معلم علوم الآخرة أو علوم الدنيا على قصد الآخرة لا على قصد الدنيا فهو هلاك وإهلاك نعوذ بالله منه

« وكما أن حق أبناء الرجل الواحد أن يتحابوا ويتعاونوا على المقاصد كلها فكذلك حق تلامذة الرجل الواحد التحاب والتواد ولا يكون الا كذلك اذا كان مقصدهم الآخرة ولا يكون الا التحاسد والتباغض إن كان مقصدهم الدنيا» . اهـ

أقول غرض أبي حامد رحمه الله تعالى أن أول شيء يطلب من المعلم المربي

(*) رواه أبو داود والنسائي وابنا ماجه وحبان من حديث أبي هريرة وليس فيه كلمة « لولده » ولفظ أبي داود « إنما أنا لكم مثل الوالد أعلمكم » الخ وفي سنده من تكلم فيه

هو أن يكون تلاميذه كأولاده في تربيتهم بالشفقة والرحمة دون الغلظة والقسوة ومن لوازم الرحمة والشفقة حفظ كرامة الناشيء وتربية ملكة العزة والشرف في نفسه ومن لوازم القسوة إهانته وتحقيره ولا شيء يفسد الاخلاق كالقسوة في التربية وامتهان المربي واحتقاره بالقول أو المعاملة · ولا أعون على التربية مع الرحمة والتكريم من السير فيها على هدي الدين من قصد الآخرة والتحذير من الغرور بمفاسد الدنيا وحظوظها الحقيرة وقد جرى أهل المدارس الدنيوية في هذا العصر على طريقة الرحمة والتكريم في التربية ولكنهم أهملوا أمر الدين فكان أكثر المتخرجين في مدارسهم لاهم لهم من حياتهم الا التمتع بالشهوات وطلب المال من غير مبالاة بحرام ولا حلال · ثم قال

﴿ الوظيفة الثانية ﴾ أن يقتدي بصاحب الشرع صلوات عليه وسلامه فلا يطلب على إفادة العلم أجرا ، ولا يقصد به جزاء ولا شكرا ، بل يعلم لوجه الله تعالى وطلباً للتقرب اليه ولا يرى لنفسه منة عليهم وان كانت المنة لازمة عليهم بل يرى الفضل لهم إذ هذبوا قلوبهم لأن تتقرب الى الله تعالى بزراعة العلوم فيها كالذي يعيرك الأرض لتزرع لنفسك فيها زراعة فمنفعتك بها تزيد على منفعة صاحب الأرض فكيف تقلده منة ؟ وثوابك في التعليم أكثر من ثواب المتعلم عند الله تعالى ولولا المتعلم ما نلت هذا الثواب فلا تطلب الأجر الا من الله تعالى كما قال عز وجل (١١: ٢٩ و ياقوم لا أسألكم عليه مالا إن أجري الا على الله) فان المال وما في الدنيا خادم البدن والبدن مركب النفس ومطيتها والمخدوم هو العلم إذ به شرف النفس فمن طلب العلم بالمال كان كمن مسح أسفل نعله بوجهه لينظفه فجعل المخدوم خادما والخادم مخدوما وذلك هو الانتكاس على أم الرأس ومثله هو الذي يقوم في العرض الأكبر مع المجرمين ناكسي رءوسهم عند ربهم وعلى الجملة فالفضل والمنة للمعلم

« فانظر كيف انتهى أمر الدين الى قوم يزعمون أن مقصودهم التقرب الى الله تعالى بما هم فيه من علم الفقه والكلام والتدريس فيهما وفي غيرهما فإنهم يبذلون المال والجاه و يتحملون أصناف الذل في خدمة السلاطين لاستطلاق الجرايات ولو تركوا ذلك لتركوا ولم يختلف اليهم

« ثم يتوقع المعلم من المتعلم أن يقوم له في كل نائبة وينصر وليه ويعادي عدوه وينتهض حمارا له في حاجاته مسخرا بين يديه في أوطاره فان قصر في حقه ثار عليه وصار من أعدى أعدائه . فأخسس بعالم يرضى لنفسه بهذه المنزلة ثم يفرح بها ثم لايستحيي من أن يقول : غرضي من التدريس نشر العلم تقربا الى الله تعالى ونصرة لدينه ؛ فانظر الى الأمارات ، حتى ترى ضروب الاغترارات »

أقول أما أخذ الأجرة على التعليم ففيه بحث وان كنا لانخالف أبا حامد في كون ماذكره هو الكمال اللائق بعلماء الدين لاسيما اذا كانوا في سعة من العيش ولكن التعليم قد صار صناعة لايتقنها الا من انقطع لها عن الأعمال والمكاسب فمن كانت هذه حاله لايمنع إخلاصه في التعليم وابتغاء وجه الله به قبول الأجرة عليه لاسيما اذا كانت الأجرة من المصالح العامة كالأوقاف وخزائن الحكومات وادارات المدارس التي تنشئها الجمعيات أو الأفراد

وأما ما قاله في العلماء الذين جعلوا الدين أحبولة لصيد المال والجاه والتقرب من الأمراء والحكام فهو الحق الذي لا مرية فيه وكذلك كلامه فيمن يحاولون استخدام تلاميذهم وتسخيرهم في منافعهم والانتصار لهم وإذا كان هذا شأن الكثير من الفقهاء والمتكلمين في عصره فماذا كان يقول لو رأى علماء الدين في عصرنا هذا ؟؟ فليعتبر المعتبرون ثم قال

(الوظيفة الثالثة) أن لايدع من نصح المتعلم شيئا وذلك بأن يمنعه من التصدي لرتبة قبل استحقاقها والتشاغل بعلم خفي قبل الفراغ من الجلي . ثم ينبهه على ان الغرض بطلب العلوم القرب من الله دون الرياسة والمباهاة والمنافسة ويقدم تقبيح ذلك في نفسه بأقصى ما يمكن فليس مايصلحه العالم الفاجر بأكثر مما يفسده . فان علم من باطنه انه لايطلب العلم الا للدنيا نظر الى العلم الذي يطلبه فان كان هو علم الخلاف في الفقه والجدل في الكلام ، والفتاوى في الخصومات والأحكام ، فيمنعه من ذلك فان هذه العلوم ليست من علوم الآخرة ولا من العلوم التي قيل فيها : تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون الا لله ؛ وانما ذلك علم التفسير وعلم الحديث وما كان الأولون يشتغلون به من علم الآخرة

ومعرفة أخلاق النفس وكيفية تهذيبها فاذا تعلمه الطالب وقصده الدنيا فلا بأس أن يتركه فانه يثمر له طمعاً في الوعظ والاستتباع ولكن قد ينتبه في أثناء الأمر أو آخره اذ فيه العلوم المخوفة من الله تعالى المحقرة للدنيا المعظمة للآخرة وذلك يوشك أن يؤدي الى الصواب في الآخرة حتى يتعظ بما يعظ به غيره ويجري حب القبول والجاه مجرى الحب الذي ينثر حوالي الفخ ليقتنص به الطير وقد فعل الله ذلك بعباده إذ جعل الشهوة ليصل الخلق بها الى بقاء النسل ، وخلق أيضاً حب الجاه ليكون سبباً لاحياء العلوم وهذا متوقع في هذه العلوم

« فاما الخلافيات المحضة ومجادلات الكلام ومعرفة التفاريع الغريبة (أي في الفقه) فلا يزيد التفرغ لها مع الاعراض عن غيرها الا قسوة في القلب وغفلة عن الله تعالى وتمادياً في الضلال وطلبا للجاه الا من تداركه الله تعالى برحمته أو مزج به غيره من العلوم الدينية ولا برهان على هذا كالتجربة والمشاهدة فانظر يا أخي واعتبر واستبصر لتشاهد تحقيق ذلك في العباد والبلاد والله المستعان »

أقول هذا ما يقوله حجة الاسلام في الفقهاء والمتكلمين الذين كانوا أئمة في هذه العلوم بهم ارتقت واتسعت دوائرها وكانت تحتاجها اليها لوجود الفلاسفة والمبتدعة الذين يرد عليهم المتكلمون ولكون جميع الاحكام في بلاد المسلمين كانت جارية على أحكام الفقه وهو مع ذلك يعد علومهم دنيوية ويقول إنه علم بالتجربة كما علم بالبرهان أنها لا تزيد القلب الا قسوة وحبا في الدنيا وإعراضاً عن الله تعالى فماذا تقول في المنقطعين لهذه العلوم اليوم وهم مقلدون لأولئك الذين كانوا في عصره ولمن دونهم ممن بعدهم والحاجة الى علومهم الآن ليست كالحاجة اليها في عصره فان معظم فقههم لا يحكم به أحد من حكام المسلمين اليوم ومعظم علم الكلام الذي يزاولونه لاحاجة اليه لأنه عبارة عن رد على الفلسفة اليونانية التي امحت بالفلسفة العصرية وعلى المعتزلة الذين انقرضوا!

مع هذا نرى شيوخ العصر في الأزهر وأمثاله من المدارس الاسلامية في سائر البلاد يتبجحون بأنهم رجال الدين المحافظون عليه وهم لا يلتفتون الى علومه

الحقيقية التي تهذب النفوس وتصلح القلوب وتربي الارواح من التفسير والحديث والاخلاق وسنن الله في الأنفس والآفاق وحكمه في المخلوقات كما أوضحه حجة الاسلام في الاحياء . وقد تعب الاستاذ الامام محمد عبده رحمه الله تعالى واجتهد وقاسى البلاء ليجعل علم الاخلاق وتاريخ نشأة الاسلام والتفسير الحقيقي مما يدرس في الازهر فلم يصادف من القوم الا إعراضا فاما تفسير كتاب الله على أنه هدى ورحمة وموعظة وعبرة فقد أحياه بنفسه وفقد مات بموته وأما الأخلاق وآداب الدين وتاريخ الاسلام فقد تقرر بسعيه تدريسها رسميا ولكنها لا تدرس ولا يحفل بها أحد ومع ذلك كله كانوا يحاربونه بزعم أنه يشغلهم عن علوم الدين ويرددون بألسنتهم وأقلام الجرائد المنتصرة لهم كلمة « الازهر مدرسة دينية محضة » فليعرضوا هذا القول على ما قرره حجة الاسلام في الاحياء في هذا الموضع وغيره ولينظروا بعد ذلك مكانه من الصدق . الا إن الازهر وأمثاله مدارس دنيوية محضة بحسب ما قرره أبو حامد ولا نعرف أحدا من العلماء نازعه فيما قرره ويشهد لذلك أننا لا نرى المتخرجين فيها يعملون بأمر الدين وإرشاد المسلمين . أين المتصدون لتهذيب النفوس وتربية الارواح ؟ أين حماة العقائد من شبهات العلوم العصرية ، وأهل الغيرة على دين الثابتة الحديثة ، أين أنصار السنة ، الخاذلون للبدعة ، أين الدعاة الى الدين بحسب ما يليق بحال المعاصرين ؟ مهما رفعت صوتك بالنداء لا تسمع منهم مجيبا . ثم قال أبو حامد

(الوظيفة الرابعة) وهي من دقائق صناعة التعليم أن يزجر المتعلم عن سوء الاخلاق بطريق التعريض ما أمكن ولا يصرح وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ فان التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف ويهيج الحرص على الاصرار اذ قال صلى الله عليه وسلم وهو مرشد كل معلم « لو منع الناس عن فت البعر لفتوه وقالوا ما نهينا عنه الا وفيه شيء » (*) ويذيبك على هذا

---

*) قال العراقي في الحديث لم أجده الا من حديث الحسن مرسلا وهو ضعيف رواه ابن شاهين ؛ قال شارح الاحياء ووجدت بخط الداودي ما نصه : ولفظ ابن شاهين « لو منع الناس فت الشرك لقالوا فيه التذ » وفي معناه حديث آخر

قصة آدم وحواء عليهما السلام وما نهيا عنه فما ذكرت القصة لتكون سمرا بل لتنبه بها على سبيل العبرة - ولان التعريض أيضاً يميل النفوس الفاضلة والاذهان الذكية الى استنباط معانيه فيفيد فرح التفطن لمناه رغبة في العلم به ليعلم أن ذلك مما لا يغيب عن فطنته »

أقول رحم الله أبا حامد ما كان أحرصه على تكريم الطلاب وتنشئتهم على العزة والشرف فهو يدخل على هذا المعنى من كل باب ، ويتوسل اليه بأنواع الاسباب ، فأين من هذا ما يجري عليه شيوخ مشهورون من الفظاظة والسباب ، ونبز تلاميذهم بأقبح الألقاب ، حتى صار الذين يتعلمون في المدارس الدنيوية يظنون أن النزاهة والتكريم للطلاب ، مما وضعه الافرنج من الآداب ، وهكذا جردنا أنفسنا من آداب ديننا ، حتى صارت تعزى الى غيرنا ، ثم قال

« (الوظيفة الخامسة) إن المتكفل ببعض العلوم ينبغي أن لا يقبح في نفس المتعلم العلوم التي وراءه كمعلم اللغة اذ عادته تقبيح علم الفقه ومعلم الفقه عادته تقبيح علم الحديث والتفسير وان ذلك نقل محض وسماع وهو شأن العجائز ولا نظر للعقل فيه ومعلم الكلام ينفر عن الفقه ويقول ذلك فروع وهو كلام في حيض النسوان ، فأين ذلك من الكلام في صفة الرحمن ، فهذه أخلاق مذمومة للمعلمين ينبغي أن تجتنب بل المتكفل بعلم واحد ينبغي أن يوسع على المتعلم طريق التعلم في غيره وإن كان متكفلا بعلوم ينبغي أن يراعي التدريج في ترقية المتعلم من رتبة الى رتبة »

أقول ان السبب في مدح كل متكفل بفن أو علم له وذم غيره أو تقليل شأنه هو ما يسمونه حب الذات فهو لا يريد بذلك الا مدح نفسه وتفضيلها على أقرانه ومعاصريه فهو قد يذم العلم الآخر وان كان عارفا بفائدته فكيف اذا كان جاهلا به . ثم قال

« (الوظيفة السادسة) أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقي اليه ما لا يبلغه عقله فينفره أو يخبط عليه عقله اقتداء في ذلك بسيد البشر صلى الله عليه وسلم حيث قال « نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلمهم على

قدر عقولهم » (١) فليث اليه الحقيقة اذا علم أنه يستقل بفهمها قال صلى الله عليه وسلم « ما أحد يحدث قوماً بحديث لاتبلغه عقولهم الا كان فتنة على بعضهم »(٢) وقال علي رضي الله عنه وأشار الى صدره : إن ههنا لعلوماً جمة لو وجدت لها حملة ؛ وصدق رضي الله عنه (وفي نسخة الشارح عليه السلام) في قوله قلوب الأبرار قبور الاسرار

---

(١) هذان حديثان أوردها في سياق واحد أما الأول فذكر في الجامع الصغير وفي كنوز الحقائق من حديث عائشة بلفظ « أنزلوا الناس منازلهم » معزوا في الأول الى مسلم وأبي داود وفي الثاني الى مسلم فقط ، وعزوه الى مسلم سهو من السيوطي والمناوي فإن مسلماً لم يخرجه في صحيحه وإنما ذكره في مقدمته بغير إسناد وبغير جزم إذ قال « ويذكر عن عائشة » وأما أبو داود فقد أخرجه في الأدب من سننه ورواه كثيرون فنهم من تكلم في سنده كقول أبي داود إن ميمون ابن أبي شبيب لم يدرك عائشة ومنهم من صححه كالحاكم وابن خزيمة وقال السخاوي حديث حسن . ورواه بعضهم عنها بلفظ « أمرنا رسول (ص) أن ننزل الناس منازلهم » وورد بألفاظ أخرى

وأما الثاني فقد روي في الجزء الثاني من حديث أبي الشخير عن ابن عمر مرفوعا بلفظ « أمرنا معاشر الانبياء أن نكلم الناس على قدر عقولهم » كذا قال العراقي في تخريج أحاديث الاحياء والحافظ السخاوي في كتابه الجواهر والدرر وفي معناه حديث « حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله » رواه الديلمي في مسند الفردوس عن علي مرفوعا وهو في البخاري موقوف ووضع السيوطي في الجامع الصغير بجانبه علامة الحسن .

(٢) ذكر المصنف هذا الحديث في باب قبل هذا الباب بلفظ « ماأنت محدث قوما بحديث لايفهمونه الا كان فتنة عليهم » ونقل شارح الكتاب عن الحافظ العراقي أنه قال : أخرجه العقيلي في الضعفاء وابن السني وأبو نعيم في رياضة المتعلمين من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف ولمسلم في مقدمة صحيحه موقوفا على ابن مسعود نحوه : اه قال الشارح ولفظ حديث ابن عباس « ماأنت محدث قوما حديثاً لاتبلغه عقولهم الا اذا كان على بعضهم فتنة »

فلا ينبغي ان يفشي العالم كل ما يعلم الى كل أحد هذا اذا كان يفهمه المتعلم ولم يكن أهلا للانتفاع به، فكيف فيما لا يفهمه. وقال عيسى عليه السلام « لا تعلقوا الجواهر في اعناق الخنازير » فان الحكمة خير من الجوهر ومن كرهها فهو شر من الخنازير ولذلك قيل: كِل لكل عبد بمعيار عقله، وزن له بميزان فهمه، حتى تسلم منه، وينتفع بك، والا وقع الانكار، لتفاوت المعيار. وسئل بعض العلماء عن شيء فلم يجب فقال السائل: أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من كتم علماً نافعاً جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار »؟ (*) فقال اترك اللجام واذهب فان جاء من يفقه وكتمته فليلجمني فقد قال الله تعالى (٤ : ٤ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم) تنبيهاً على ان حفظ العلم ممن يفسده ويضره أولى وليس الظلم في إعطاء غير المستحق بأقل من الظلم في منع المستحق » اه

أقول جعل بعض أهل النظر هذه المسألة – إظهار الحقيقة لكل أحد في كل وقت – محل بحث والبحث فيها من الجهة النظرية مجال ولكن من بلا الناس وعرف شؤونهم يحكم في هذه القضية بالسلب حكما لا تردد فيه ولقد كان الانبياء المؤيدون بعناية الله عليهم يلقون حقائق الدين بالتدريج ويستعملون الكلام المجمل والكنايات والتجوزات والمتشابهات التي يأخذ منها كل ذي عقل وفهم على مقدار عقله وعلمه. نعم لا يجوز لأحد ان يقول قولا يخالف الحقيقة ليقبله الناس فان فاعل ذلك من الكاذبين الماشين، لا من الحكماء الناصحين، واذا كان هذا ينافي الصدق والحكمة، فهو أشد منافاة للنبوة، ومن ثم تعلم ان ما يقوله بعض الباطنية حتى في زماننا هذا من ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام قالوا اشياء تخالف الحقيقة مراعاة لافهام الناس واستعدادهم هو من الباطل الذي لا يدنو من

(*) قال الحافظ العراقي أخرجه ابن ماجه من حديث أبي سعيد ولفظه عند السيوطي في الجامع الكبير « من كتم علما مما ينفع الله به الناس في أمر الدين ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار » اه أقول وفي الجامع الصغير من حديث ابن مسعود عند ابن عدي « من كتم علماً عن أهله ألجم يوم القيامة لجاماً من نار » وهو ضعيف

الصواب منه بل هو دليل على ان هؤلاء الباطنية يستحلون الكذب والغش والخداع فلا ثقة بأقوالهم ولا بعقائدهم أعني انه لا يوثق بأنهم يعتقدون ما يقولونه ويدعون اليه بل هم طلاب رياسة من طريق الاشتغال في الدين وتشكيله بشكل وثني كما يعلم من تاريخهم منذ وجدوا الى أن ظهروا باسم البابية والبهائية في هذا الزمان.

ولهذا الذي قرره أبو حامد في هذه الوظيفة جعل كتابه هذا مرتبا على ما يشبه ترتيب الفقه الذي كانت الرغبات كلها أو جلها متوجهة اليه في ذلك العصر استدراجا للقلوب اليه في ذلك العصر وحذرا أن تنفر منه كما صرح بذلك في فاتحته، ولأجله جعل أحكام الفقه فيه على مذهب الشافعي إلا قليلا على أن رأيه في الإصلاح قائم على قاعدة إبطال التقليد كما سيأتي عنه فكأنه أراد أن يجعل الإحياء مقدمة لما قرره في كتبه التي ألفها بعد ذلك كالقسطاس المستقيم والمنقذ من الضلال والمضنون به على غير أهله . ثم قال

« (الوظيفة السابعة) ان المتعلم القاصر ينبغي أن يلقى اليه الجلي اللائق به ولا يذكر له أن وراء هذا تدقيقا وهو يدخره عنه فإن ذلك يفتر رغبته في الجلي ويشوش عليه قلبه ويوهم اليه البخل به عنه إذ يظن كل أحد أنه أهل لكل علم دقيق فما من أحد إلا وهو راض عن الله سبحانه في كمال عقله وأشدهم حماقة وأضعفهم عقلا هو أفرحهم بكمال عقله

« وبهذا يعلم أن من تقيد من العوام بقيد الشرع ورسخ في نفسه العقائد المأثورة عن السلف من غير تشبيه ومن غير تأويل وحسن مع ذلك سيرته ولم يحتمل عقله أكثر من ذلك فلا ينبغي أن يشوش عليه اعتقاده بل ينبغي ان يخلى وحرفته فانه لو ذكر له تأويلات الظاهر انحل عنه قيد العوام ولم يتيسر قيده بقيد الخواص فيرتفع عنه السد الذي بينه وبين المعاصي وينقلب شيطانا مريداً يهلك نفسه وغيره . بل لا ينبغي ان يخاض مع العوام في حقائق العلوم الدقيقة بل يقتصر معهم على تعليم العبادات وتعليم الامانة في الصناعات التي هم بصددها ويملأ قلوبهم من الرغبة والرهبة في الجنة والنار كما نطق به القرآن ولا يحرك عليهم شبهة فانه ربما تعلقت الشبهة بقلبه ويعسر عليه حلها فيشقى ويهلك

« وبالجملة لا يفتح على العوام باب البحث فانه يعطل عليهم صناعاتهم التي بها قوام الخلق ودوام عيش الخواص »

أقول أرشد في هذه الوظيفة الى نوع من أنواع التدريج في تعليم طلاب العلوم والى طريق تعليم العامة ومن هذا يتبين لك ان ما يلح بالدعوة اليه من الاعراض عن الدنيا والرغبة في معرفة الله تعالى والعلوم التي تقرب اليه انما هو موجه الى الخواص أصحاب الاستعداد للكمال كما أشرنا الى ذلك وسنزيده بيانا . ثم قال

(الوظيفة الثامنة) أن يكون المعلم عاملا بعلمه فلا يكذب قوله فعله لأن العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالابصار وأرباب الابصار أكثر فاذا خالف العلم العمل منع الرشد وكل من تناول شيئاً وقال للناس لا تتناولوه فانه سم مهلك سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم على ما نهوا عنه فيقولون لولا أنه أطيب الاشياء وألذها لما كان يستأثر به . ومثل المعلم المرشد من المسترشدين مثل النقش من الطين والظل من العود فكيف ينتقش الطين بما لا نقش فيه ومتى استوى الظل والعود أعوج ولذلك قيل في المعنى

لا تنه عن خلق وتأتي مثله   عار عليك اذا فعلت عظيم

وقال الله تعالى (٢ : ٤٤ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) ولذلك كان وزر العالم في معاصيه أكثر إذ يزل بزلته عالم كثير ويقتدون به « ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها » (* ولذلك قال علي رضي الله عنه : قصم ظهري رجلان عالم متهتك ، وجاهل متنسك ، فالجاهل يغر الناس بتنسكه ، والعالم يغرهم بتهتكه » والله أعلم » اه

أقول يجب أن يكون المعلم مربيا وقوام التربية بالقدوة فاذا كان المعلم لعلوم الدنيا أو الدين سيء الاخلاق فاسد الآداب فانه يفسد نفوس تلاميذه بالفعل وما يقوله لهم من النصائح يكون عندهم من الأقوال التي يقصد بها الغش والرياء فالجهل بها خير لهم من معرفتها

*) العبارة مقتبسة من حديث رواه أحمد ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه

أثارة من التاريخ

قطعة من مكتوب شهاب الدين بن مري تلميذ ابن تيمية يعزي اخوانه تلاميذ شيخ الاسلام عنه ويحثهم على جمع مصنفاته

(أيها الاخوان)

لا تنسوا تقريرات شيخنا الحاذق الناقد الصادق قدس الله روحه لما في قوله تبارك وتعالى في بيان الحكم الاربع التي أودعها الله سبحانه في ضمن انكسار عسكر الرسول في يوم أحد وهي قوله تعالى (وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين) فلا تهملوا أمر الفكرة الصالحة في هذه المعاني الشريفة وغيرها ولا تجزعوا لما حصل فان الله حي لا يموت وهو المتكفل سبحانه بنصر الدين وأهله والمختبر لعباده فيما يبتليهم به والخبير بجملة مصالحهم والرؤوف بهم والهادي لمن يشاء الى صراط مستقيم ولا يهلك على الله الا هالك والسعيد من قام بما عليه الى وفاته ممن أراد عظيم الاجر التام، ونصيحة الانام، ونشر علم هذا الامام الذي اختطفه من بيننا محتوم الحمام، ويخشى دروس كثير من علومه المتفرقة الفائقة مع تكرر مرور الليالي والايام؛ فالطريق في حقه هو الاجتهاد العظيم على كتابة مؤلفاته الصغار والكبار، على جليتها من غير تصرف فيها ولا اختصار، ولو وجد فيها كثيرا من التكرار، ومقابلتها، ولتكثير النسخ بها واشاعتها، وجمع النظائر والاشباه في مكان واحد واغتنام حياة من بقي من أكابر الاخوان، فكانا جميعا بكمال الفوت وقد حان، ويكفينا ما عندنا على ما فرطنا من عظيم الأسف، فلوجه الله معشر الاخوان لا تعاملوا الوقت الحاضر بما عاملتم به الوقت الذي قد سلف، فان حياته رحمه الله ورضي عنه كانت مأمولة الاستدراك الفارطات الفائتات، وتكميل الغايات والنهايات، فاغتنموا تحصيل كل مهمة في وقتها بلا كسل ولا ملل، ولا تشاغل ولا بخل، لان هذا المهم الكبير، أحق شيء يبذل في تحصيله المال الكثير، وقد علمتم مضرة التعليل والتسويف وكون ذلك من أكبر القواطع عن مصالح الدنيا والآخرة فاحتفظوا بالشيخ أبي عبد الله (١) أبده الله وبما عنده من الذخائر

(١) يعني ابن القيم أجل تلامذة شيخ الاسلام اه

والنفائس وأقيموه لهذا المهم الجليل بأكثر ما تقدرون عليه ولو تألم احيانا من مطالبته لأنه قد بقي في فنه فريدا ولا يقوم مقامه غيره من سائر الجماعة على الاطلاق وكل أحوال الوجود لا بد فيها من العوارض والانكار فاحتسبوا مساعدته عند الله تعالى وانهضوا بمجموع كلفته فان الشدائد تزول والخيرات تغتنم فاكتبوا ما عندهم وليكتب ما عندكم وأنا أستودع الله دينه وما عنده وأوصيه بالصبر أيضا ومعاملة الله سبحانه فيما هو فيه وان قصر الاخوان في حقه وليطلب نصيبه من الله تعالى متكلا عليه في رزقه المضمون ومجملا في الطلب لان ما قسم لا بد أن يكون واعا أحث همكم الصالحة عليه تحصيل كراريس الرد على عقائد الفلاسفة لأنه ليس في الوجود بهذا المؤلف نسخة كاملة غير النسخة التي بخطي وكانت في الحرستان الشمالي من مدرسة شيخنا وأخبرني الشيخ شرف الدين رحمه الله تعالى انه أودع المجموع في مكان حريز واقد شح علي باعادة هذه الكراريس وقت الذهاب من الشام ولا قوة الا بالله والكراس الرابع منها أخذه أبو عبد الله من يدي وهو عنده ونسخة الاصل التي بخط الشيخ في ربع القطع في الكبير وكانت هناك أيضا وقد بقي من آخر نسخي أقل من ورقة فأوصلوا ذلك الى أبي عبد الله ليكمل النسخة الى عند قوله « فهذا باب وذاك باب والله أعلم بالصواب » والطولي نسخة بخط كيس وكلوها لأنه مؤلف لا نظير له ولا يكسر الفلاسفة مثله ومن الله نسأل المعونة على جمع شمل هذه المصالح الجليلة بعد شتاتها، وصونها من عوارض القواطع وآفاتها، لان الفوت صعب، وغائلة التفريط رديئة، وانتهاز الفرص من أهم الأمور وأجمها لمصالح الدنيا والآخرة وما يعقلها الا العالمون، وسيندم المفرطون في استدراك بقايا هذه الامور الكاملة والمقصرون، كما ندم المتخلفون بطول حياة الشيخ والمغرورون وهذه الامور التي قد أشرت اليها في هذه الأوراق الحقيقة هي أعلا أبواب النصيحة وأنما فيما أعلم لأن الذاهب مضى، والوقت سيف منتضى، وكل من ذهب بعده من أكابر الاخوان ما عنه عوض والدهر في إدبار والشرور في زيادة واذا جمعت هذه المؤلفات العزيزة الكثيرة ونقل من المسودات ما لم ينقل وقبل رأي أبي عبد الله في ذلك كله لأنه على بصيرة من أمره وهو أخبر الجماعة بمظان المصالح

المفردة التي قد انقطعت مادتها وقوبل كل ما يكتب مع أصلح الجماعة أو على نسخة الاصل وروجع شيخنا الحافظ جمال الدين الذي هو بقية الخير لثقته وخبرته وشفقته وتحرقه على ظهور هذه المواد الصالحة في الوجود وسلامة علمه واحاطته بكثير من مقاصد شيخنا المؤلف وروجع الشيخان العالمان الفاضلان المحققان (القاضي شرف الدين وشمس الدين بن أبي بكر) فانهما أحذق الجماعة على الاطلاق في المناهج العقلية وغيرها واذكرهم للمباحث الاصولية فيما يشتبه من المقاصد خوفا من التصحيف وتغيير بعض المعاني وروجع غيرهم من أكابر الجماعة أيضا كان في ذلك خير كثير واستدراك كبير ان شاء الله تعالى

(والشيخ أبو عبد الله) سلمه الله هو بلا تردد واسطة نظام هذا الامر العظيم فساعدوه وأزيلوا ضروروته واجمعوا همه واغتنموا بقية حياته واقبلوا نصيحتي فيما أتحققه من هذا كله كما كنت أتحقق ان اغتنام أوقات الشيخ وجمعها على التأليف والاتقان والمقابلة خير من صرفها في مجرد المذاكرة الدينية والمنادمة والانوس فرطت كثيرا في ذلك الحال والله المسؤول بأن يكفينا مضرة كل الفوت الذي لاعوض عنه بحال انه رؤف رحيم جواد كريم، فان يسر الله تعالى وأعان على هذه الامور العظيمة صارت ان شاء الله تعالى مؤلفات شيخنا ذخيرة صالحة للاسلام وأهله وخزانة عظيمة لمن يؤلف منها وينقل وينصر الطريقة السلفية على قواعدها ويستخرج ويختصر الى آخر الدهر ان شاء الله تعالى قال صلى الله عليه وسلم «لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرسا يستعملهم فيه بطاعة الله» وقال «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة » والله سبحانه يقول في كتابه (ويخلق مالا تعلمون) وكما انتفع الشيخ بكلام الأئمة قبله فكذلك ينتفع بكلامه من بعده ان شاء الله تعالى فانهضوا أمر الله واقصدوا رضى الله بجمع كل ما تقدرون عليه من أنواع المؤلفات الكبار وأشتات المسائل الصغار ومعها نسخ الفتاوى المتفرقة وسائر كلامه الذي قد ملئ ولله الحمد من الفوائد والفرائد والشوارد فأيقظوا الهمم وابذلوا الأموال الكثيرة في تحصيل هذا المطلب العظيم الذي لا نصير له فهذا هو الذي يلزمنا من حيث

الاسباب، والثناء على رب الارباب ومسبب الأسباب، وفاتح الأبواب، الذي يقيم دينه وينصر كتابه وسنة نبيه على الدوام، ويثبت من يؤهله لذلك من أنواع الخاص والعام، وكل مجزي في القيامة بعمله (وما ربك بظلام العبيد)

وقد علم أن الامام أحمد بن حنبل كان ينهى في حال حياته عن كتابة كلامه ليجمع القلوب على المادة الأصلية العظمى ولما توفي استدرك أصحابه ذلك الامر الكبير فنقلوا علمه وبينوا مقاصده وشهروا فوائده فانتصرت طريقته واقتفيت آثاره لأجل ذلك والوجود هو على هذه الصفة قديما وحديثا فلا تيأسوا من قبول القلوب القريبة والبعيدة لكلام شيخنا فانه ولله الحمد مقبول طوعا وكرها وأين غايات قبول القلوب السليمة لكلماته وتتبع الهمم النافذة لمباحثه وترجيحاته ووالله ان شاء الله ليقيمن الله سبحانه لنصر هذا الكلام ونشره وتدوينه وتفهمه واستخراج مقاصده واستحسان عجائبه وغرائبه رجالا هم الى الآن في أصلاب آبائهم وهذه هي سنة الله الجارية في عباده وبلاده والذي وقع من هذه الامور في الكون لا يحصي عدده غير الله تعالى ومن المعلوم أن (البخاري) مع جلالة قدره خرج طريدا ثم مات بعد ذلك غريبا وعوضه الله سبحانه عن ذلك بما لا يخطر في باله ولا مر في خياله من عكوف الهمم على كتابه وشدة احتفالها به وترجيحها له على جميع كتب السنن وذلك لكمال صحته وعظمة قدره وحسن ترتيبه وجمعه وجميل نية مؤلفه وغير ذلك من الاسباب ونحن نرجو أن يكون لمؤلفات شيخنا (أبي العباس) من هذه الوراثة الصالحة نصيب كثير ان شاء الله تعالى لانه كان يبني جملة أمور على الكتاب والسنة ونصوص أئمة سلف الأمة وكان يقصد تحرير الصحة بكل جهده ويدفع الباطل بكل ما يقدر عليه لا يهاب مخافة أحد من الناس في نصر هذه الطريقة وتبيين هذه الحقيقة وقد علم ان الكتب من الخصوصية والنفع والصحة والبسط والتحقيق والاتقان والكمال وتسهيل العبارات، وجمع أشتات المتفرقات، والنطق في مضايق الأبواب، بحقائق فصل الخطاب، ما ليس لأكثر المصنفين في أبواب مسائل أصول الدين، وغيرها من مسائل المحققين، لانه كان يجعل النقل الصحيح أصله وعمدته في جميع ما يبني عليه ثم يعتضد بالمعقليات الصحيحة التي توافق ذلك

ويبيرها ويجتهد على دفع كل ما يعارض ذلك من شبه المعقولات ويلتزم حل كل شبهة كلامية وفلسفية كما تقدمت الاشارة الى ذلك ويلتزم أيضاً الجمع بين صحيح المنقول وصريح المعقول ويجزم بأن فرض دليلين قطعيين متعارضين من المحال أن كان عقليين أوعقليا ونقليا قال لان الدليل هو الذي يجب ثبوت مدلوله فاما ان لايكونا قطعيين واما أن لايكون مدلولاها متناقضين وعلى هذا المقصد الجليل بنى كلامه المتين وتقاسيمه المحيية في أول قاعدته الكبيرة الباهرة التي الفها في دفع تعارض العقل والنقل فكانت مقاصده وتحقيقاته في هذا الباب العظيم عجباً من عجائب الوجود وكان يقول لا يتصور ان يتعارض حديثان صحيحان قط الا ان يكون الثاني منهما ناسخا للاول قال والامام أحمد بن حنبل كان في زمنه يصرح به ويلتزم تحقيقه وانا في زمني التزم حكم هذه القاعدة أيضا والنهوض بالجواب عن كل ما يعارضها وكان رحمه الله ورضي عنه يذب عن الشريعة ويحمي حوزة الدين بكل ما يقدر عليه وكان كما علم من حاله لايخاف في هذا الباب لومة لائم ولا ينثني عما يتحقق عنده ولم يزل على ذلك الى ان قضى نحبه ولقي ربه قدس الله روحه ونور ضريحه ونصر مقاصده وأيد قواعده والله سبحانه يعلم حسن قصده وصحة علومه ورجحان دليله وهو ناصر الحق وأهله ولو بعد حين

وجميع ما وقع من هذه الامور فيه من الدلالة ان شاء الله على شمول أمره وظهور كلمة هذه العلوم الباهرة أكثر مما فيه من الدلالة على خلاف ذلك ولا قوة الا بالله غير ان الاشياء المقدورة تفتقر الى أسبابها المعلومة ولهذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم وهو في العريش يوم بدر يجتهد على الاستغاثة بالله التي كانت أكبر أسباب النصرة في ذلك اليوم بعد ان عرفه الله تعالى قبل ذلك جلية مصارع القوم ولما التزمه أبو بكر من ورائه قائلا له: يارسول الله أهكذا مناشدتك ربك فانه واف لك بما وعدك: لم يترك استغاثته بربه لعلمه ان الأمور المقدرة لابد ان تقع بأسبابها اللازمة لها المعروفة بها ومصداق ذلك ما أنزله سبحانه في تقرير هذا الامر وتحقيق هذه القاعدة وهو قوله تعالى (اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين ، وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا

من عند الله ان الله عزيز حكيم) لانه سبحانه بين حكم الاسباب المتقدمة والمتأخرة ورد الامر الى حقائق التوحيد بقوله (وما النصر الا من عند الله) وهذا هو نهاية مطالب هذا الباب واتباع هذه الاحكام الثابتة على هذه الصفة المؤيدة هو بلا شك أعلا مراتب العبودية واقعها وارفعها في حق مجموع البرية فأكرموا من استهال هذا الامر الجليل، وحسبنا الله ونعم الوكيل،

الحمد لله وحده وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وسلام على جميع الصالحين



نموذج من انجيل برنابا

الفصل السبعون (١)

١ وانصرف يسوع من أورشليم بعد الفصح ودخل حدود قيصرية فيلبس (١) ٢ فسأل تلاميذه بعد أن أنذره الملاك جبريل بالشغب الذي نجم بين العامة قائلا ٣ « ماذا يقول الناس عني ؟ »

٣ أجابوا: « يقول البعض انك ايليا وآخرون إرميا وآخرون أحد الانبياء »

٤ أجاب يسوع: « وما قولكم أنتم فيّ ؟ »

٥ أجاب بطرس « انك المسيح بن الله »

٦ فغضب حينئذ يسوع وانتهره بغضب قائلا: « اذهب وانصرف عني (٢) لأنك أنت الشيطان وتحاول ان تسيء الي »

٧ ثم هدد الاحد عشر قائلا: « ويل لكم اذا صدقتم هذا لأني ظفرت بلعنة كبيرة من الله على كل من يصدق هذا »

٨ وأراد ان يطرد بطرس ٩ فتضرع حينئذ الاحد عشر الى يسوع

(١) سورة الفتة على النصارى

(١) قابل هذا بما في مت ١٦ : ١٣ - ٢٠ (٢) مت ١٦ : ٢٣

اليه أن يلمسهم بيديه ٣ وكان الجمع غفيرا جدا حتى ان غنياً مصاباً بالشلل لما لم يمكن ادخاله في الباب حمل الى سطح البيت الذي كان فيه يسوع وأمر القوم برفع السقف ودلي على ملاء أمام يسوع ٤ فتردد يسوع دقيقة ثم قال : «لا تخف أيها الاخ لان خطاياك قد غفرت لك»

٥ فاستاء كل أحد لسماع هذا وقالوا : «من هذا الذي يغفر الخطايا؟»

٦ فقال حينئذ يسوع : « لعمر الله إني لست بقادر على غفران الخطايا ولا أحد آخر ولكن الله وحده يغفر [أ] ٧ ولكن كخادم لله أقدر أن أتوسل اليه لأجل خطايا الآخرين ٨ لهذا توسلت اليه لاجل هذا المريض وإني موقن بأن الله قد استجاب دعائي ٩ ولكي تعلموا الحق أقول لهذا الانسان : «باسم اله [ب] آبائنا اله ابراهيم وأبنائه قم معافى»

١٠ ولما قال يسوع هذا قام المريض معافى وجد الله

١١ حينئذ توسل العامة الى يسوع ليتوسل الى الله لاجل المرضى الذين كانوا خارجا ١٢ فخرج حينئذ يسوع اليهم ثم رفع يديه وقال : ١٣ «أيها الرب الاله الجنود الاله الحي الاله الحقيقي الاله القدوس الذي لا يموت [ت] ألا فارحمهم ١٤ فأجاب كل أحد : « امين » ١٥ وبعد أن قيل هذا وضع يسوع يديه على المرضى فنالوا جميعهم صحتهم

١٦ فحينئذ مجدوا الله قائلين : « لقد افتقدنا الله بنبيه فان الله أرسل لنا نبياً عظيما»

(ا) قال عيسى أقسمت (أقسمت ؟) بالله الحي أنا لا اقدر ان يغفر ذنبا من ذنوب لا يغفر ذنوب الا الله منه (ب) إذن الله (ت) سلطان الله حي حق ولي وباق

الفصل الثاني والسبعون[١]

١ وفي الليل تكلم يسوع سراً مع تلاميذه قائلا : ٢ « الحق أقول لكم ان الشيطان يريد أن يغربلكم كالحنطة[١] ٣ ولكني توسلت الى الله لأجلكم فلا يهلك منكم الا الذي يلقي الحبائل لي » ٤ وهو انما قال هذا عن يهوذا لان الملاك جبريل قال له كيف كانت ليهوذا يد مع الكهنة وأخبرهم بكل ما تكلم به يسوع

٥ فاقترب الذي يكتب هذا الى يسوع بدموع قائلا : « يامعلم قل لي من هو الذي يسلمك ؟ »

٦ أجاب يسوع قائلا : « يا برنابا ليست هذه الساعة هي التي تعرفه فيها ولكن يعلن الشرير قريبا لأني سأنصرف عن العالم »

٧ فبكى حينئذ الرسل قائلين : « يامعلم لماذا تتركنا لان الاحرى بنا ان نموت من ان تتركنا »

٨ أجاب يسوع : « لاتضطرب قلوبكم ولا تخافوا[٢] ٩ لأني لست انا الذي خلقكم بل الله الذي خلقكم يحميكم[ب] ١٠ أما من خصوصي فاني قد أتيت لأهيء الطريق لرسول الله[ت] الذي سيأتي بخلاص العالم ١١ ولكن احذروا أن تغشوا لانه سيأتي أنبياء كذبة[٣] كثيرون يأخذون كلامي وينجسون انجيلي

١٢ حينئذ قال اندراوس : « يامعلم اذكر لنا علامة لنعرفه »

(ا) سورة العلامة رسول الله (ب) الله خالق وحافظ (ت) رسول الله

(١) لو ٢٢ : ٣١ (٢) يو ١٤ : ٢٧ (٣) مت ٢٤ : ١١

١٣ أجاب يسوع : « انه لا يأتي في زمنكم بل يأتي بعدكم بعدة سنين حينما يبطل انجيلي ولا يكاد يوجد ثلاثون مؤمناً ١٤ في ذلك الوقت يرحم الله العالم فيرسل[أ] رسوله الذي تستقر على رأسه غمامة بيضاء يعرفه أحد مختاري الله وهو سيظهره للعالم ١٥ وسيأتي بقوة عظيمة على الفجار ويبيد عبادة الاصنام من العالم ١٦ واني أسر بذلك لانه بواسطته سيعلن ويمجد الله ويظهر صدقي ١٧ وسينتقم من الذين سيقولون اني أكبر من انسان ١٨ الحق أقول لكم ان القمر سيعطيه رقاداً في صباه ومتى كبر هو أخذه[١] بكفيه ١٩ فليحذر العالم أن ينبذه لانه سيفتك بعبدة الاصنام ٢٠ فان موسى عبد الله[ب] قتل أكثر من ذلك كثيراً ولم يبق يشوع على المدن التي أحرقوها وقتلوا الاطفال ٢١ لان القرحة المزمنة يستعمل لها الكي

٢٢ « وسيجيء بحق أجلى من سائر الانبياء وسيوبخ من لا يحسن السلوك في العالم ٢٣ وستحيي طربا أبراج مدينة آبائنا بعضها بعضاً ٢٤ فتى شوهد سقوط عبادة الاصنام الى الارض واعترف بأني بشر كسائر البشر فالحق أقول لكم ان نبي الله[ب] حينئذ يأتي

(المنار) وفي موضع آخر من هذا الانجيل بيان سبب تسمية سيدنا عيسى إلهاً وابن الله وهو أن الرومانيين الذين كانوا يحكون اليهود يومئذ رأوا آياته عليه السلام في إبراء البرص وغيرهم من المرضى فقالوا هذا إله إسرائيل قد افتقد شعبه كعادتهم في إطلاق اسم الاله على كثير من المخلوقات الخ

(أ) الله مرسل ‏ (ب) رسول الله

(١) الآية المبهمة في القرآن سورة ٥٤

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لإجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، وانا نذكر الأسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ، ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

حكم من قال أنا في جاه النبي وحديث توسلوا بجاهي

(س ٤٨) من أحمد أفندي البدوي في (القناطر الخيرية)

ملخص السؤال ان بعض المجاورين في الأزهر متقدم التخدد كانا كبيراليع الحلاوة وقد وقف خطيبا على جمهور من الافاضل وقال لهم : من قال انا في جاه النبي فقد كفر : فقال له السائل قال عليه الصلاة والسلام « توسلوا بجاهي فان جاهي عظيم » فأجابه بأن هذا حديث مكذوب وموضوع ليس في حديث من كتب السنة أو آية من القرآن . ويطلب بلسان أهل البلد بيان الحق في ذلك

(ج) ان الرجل قد أخطأ في كلمة وأصاب في كلمة أخطأ في تكفير من قال انا في جاه النبي (صلى الله عليه وسلم) وأصاب في قوله ان عبارة « توسلوا بجاهي » الخ ليست حديثا مرويا عنه صلى الله عليه وسلم بل هي من الموضوعات كما سبق لنا القول في المنار غير مرة . أما الكفر بمعنى الارتداد عن الاسلام فهو انما يكون بانكار شيء مما جاء به صلى الله عليه وسلم علم من الدين بالضرورة إجماعا كالقرآن كله أو بعضه وككون الصلوات المفروضة خمسا . ولعل الرجل ماقال بالتكفير الا وهو يظن ان من قال تلك الكلمة فهو يعني بها ان النبي صلى الله عليه وسلم ينفع أو يضر من دون الله . وهي ليست نصا في ذلك واذا كان من لوازمها القريبة أو البعيدة فلازم المذهب ليس بمذهب لاسيما في باب الردة . واني أرى الناس يستعملون هذه الكلمة « انا في جاه النبي » لانشاء استعظام الأمر أو استفظاعه يقول قائل : فلان شرير يخشى ضره أنا في جاه النبي : و يريد الآخر ان يبالغ في تصديقه

فيقولها أيضاً ولا يكاد قائلها يقصد الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم لينقذه من شر الرجل . هذا وإن الكلمة لم يرد بها كتاب ولا سنة ولا أثر عن الصحابة أو الأئمة ، فتركها أسلم من استعمالها وان لم تكن كفراً . فلا يليق أن يجعل اسم النبي (ص) عنواناً على الاستفظاع كما هو المستعمل وان قصد قائلها أنه ينجو من الشر والعذاب ويصيب الخير والثواب بجعل نفسه في جاه النبي صلى الله عليه وسلم قولاً فقصده هذا مخالف لهدي النبي وما جاء به من أن النجاة في الآخرة انما تكون بالايمان والعمل الصالح وأن أمر الدنيا مبني على الاسباب وسنن الله التي لاتتغير والتي يراعاتها انتصر المؤمنون معه صلى الله عليه وسلم يوم بدر وهم فئة قليلة وولوا الأدبار يوم حنين وهم كثيرون وانكسروا كذلك يوم أحد

صخرة بيت المقدس

(س ٤٩) من محمد أفندي عبد الكريم بمدرسة الناصرية بمصر

ما قولكم في الصخرة المقدسة الموجودة ببيت المقدس ببلاد الشام وفي أي زمن قدست ومن أطلق عليها اسم التقديس وهل هي حقيقة متصلة بالجبل ومعلقة بين السماء والأرض وما هي الحقيقة فيها ولا تزال كعبة الواردين وملجأ القاصدين ودمتم

(ج) لم يرد في كتاب الله ولا في أحاديث رسوله وصف الصخرة بالمقدسة وإنما وصفت تلك البلاد كلها بالارض المقدسة لظهور الانبياء والمرسلين فيها وبارشادهم تتقدس نفوس الناس من الشرك والرذائل . وكانت الصخرة ومازالت قبلة اليهود فهي معظمة ومعدودة من الآثار الشريفة لأنها من آثار الانبياء عليهم الصلاة والسلام وليست متصلة بالجبل ولا واقفة في الجو وإنما هي سقف لمغارة صناعية وقد سبق لنا وصفها فراجع ص ٢٦٦ من المجلد السادس

مشكلتان في القضاء الاسلامي

(أحدهما واردة على حكم القاضي باجتهاده والثانية على تعدد المذاهب)

وجه الينا السؤالين الآتيين بعض كبار علماء القوانين والفقه في ملأ من الفضلاء سامرين عنده ورغب الينا أن نجيب عنهما في المنار وقال أنه سأل بهما بعض الفقهاء المشهورين فلم يحسنوا جواباً وقد أجبنا هناك جواباً مجملاً نفصله هنا

(السؤال الاول)

(س ٥٠) قرر الفقهاء ان يكون القاضي مجتهدا ومعناه انه يحكم بما أداه اليه اجتهاده ويلزم من هذا ان يكون المتحاكمون جاهلين بالاحكام التي يحكم لهم أو عليهم بها وفي ذلك ما فيه وهو مما يعد على الفقه الاسلامي

(ج) ان الدين الاسلامي لم يأت بقوانين وأحكام مفصلة لجميع ما تحتاج اليه الأمة في معاملاتها الدنيوية وإنما جاء ببعض القواعد العامة والاحكام التي احتيج اليها في عصر التنزيل وفوض القرآن الأمر فيما يحتاج اليه من أمور الدنيا السياسية والقضائية والإدارية الى أهل الرأي والمعرفة بالمصالح من الامة بقوله (وأمرهم شورى بينهم ، وقوله (٤ : ٨٣ ولو ردوه الى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) ولهذا أمر بطاعة هؤلاء الذين سماهم أولي الأمر وهم أهل الشورى في الآية الأخرى قال (٤ : ٥٩ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) فهذا ما جاء به الإسلام وهو هداية تامة كافلة لا تضل بها أمة [illegible] في أمورها مرتقية في سياستها وأحكامها يسير بها أهل الرأي والمعرفة في كل زمان ومكان بحسب المصلحة التي يقتضيها الزمان والمكان ومن ذلك ان يضعوا القوانين وينشروها في الأمة ويلزموا القضاة والحكام باتباعها والحكم بها ولكن المسلمين لم يهتدوا بذلك على وجه الكمال

أما أهل الصدر الأول فقد قاموا بما تقتضيه حال الزمان والمكان بقدر الإمكان لاسيما على عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقد كان ما هو معروف عندهم أتم المعرفة من أحكام القرآن وأقضية الرسول وسنته في تحري العدل والمساواة وافيا بمعظم حاجاتهم القليلة بمقتضى السذاجة الفطرية وشظف العيش والتمسك بالدين ومن لوازمه قلة الاعتداء والاحتيال فكان يكتفى في القاضي أن يكون عالما بما ذكر صاحب بصيرة فيه وعدالة في نفسه بحيث اذا عرض له قضية لم يرد فيها كتاب ولا تمضِ بها سنة – ولعل ذلك قليل أن يعمل رأيه فطبقها على العدل ويقيسها بما يشبهها مما ورد . ولم يكن الناس في ذلك العهد يشعرون بأنهم في حاجة الى معرفة ما عساه يعرض من أحكام القضايا غير المنصوصة ليدون وينشر بل لم يكن ذلك

متيسرا لغلبة الأمية على المسلمين ولتفويضهم أمر الذين يدخلون في ذمتهم الى حكم أنفسهم بأنفسهم ونتيجة ذلك أنهم لم يكونوا محتاجين الى وضع القوانين ونشرها ولذلك صرفوا همتهم الى الدعوة الى الاسلام وما يتبع ذلك من الفتوحات

ومما يدل على أن ما كانوا عليه كان كافيا في إقامة العدل وراحة الناس وأمانهم بحيث لا يشعرون بحاجة الى معرفة ما كانوا يحكمون به مارواه ابن سعد في الطبقات وابن راهويه عن عطاء قال: كان عمر يأمر عماله أن يوافوه بالموسم فاذا اجتمعوا قال (أي على مسمع الملاء من أهل الموسم الواردين من الجهات): «يا أيها الناس إني لم أبعث عمالي عليكم ليصيبوا من أبشاركم ولا من أموالكم ولا من أعراضكم إنما بعثتهم ليحجزوا بينكم وليقسموا فيئكم بينكم فمن فعل به غير ذلك فليقم» فما قام أحد الا رجل قام فقال: يا أمير المؤمنين ان عاملك فلانا ضربني مئة سوط: قال: فيم ضربته؟ قم فاقتص منه: فقام عمرو بن العاص فقال يا أمير المؤمنين إنك ان فعلت هذا يكثر عليك ويكون سنة يأخذ بها من بعدك: قال (عمر) «أنا لا أقيد وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقيد من نفسه؟ (١) قال (عمرو) فدعنا لترضيه: قال «دونكم فأرضوه» فافتدى منه بمئتي دينار عن كل سوط بدينارين اه والشاهد في عدم قيام أحد من أهل الموسم يشكو العمال غير هذا الرجل

وقد كتبنا في المجلدين الرابع والخامس من المنار مقالات أو نبذا في القضاء في الاسلام ومما كتبناه في أول النبذة الرابعة ما نصه (ص ١٦٦ م ٥)

«أركان القضاء وأصول الحكم في الاسلام أربعة — الكتاب العزيز والسنة المتبعة والاجتهاد في الرأي والمشاورة في الأمر — وإنها لأركان عظيمة، وأصول قويمة، والأساس الذي بنيت عليه هذه الاركان «درء المفاسد وجلب المصالح والمنافع» ولهذا كان الاجتهاد شرطا في القاضي لوجوب تطبيق الاحكام على المنفعة في كل زمان ومكان بحسبه» وأقول الآن فقد كان قضاة المسلمين ممن يسمون بلسان الاوربيين الآن بقضاة العدل والانصاف. ثم أوردنا الاحاديث وآثار الصحابة الدالة على تلك الاركان ومما أوردناه في سنتهم في الاستشارة

(١) القود القصاص وأقاده من نفسه مكنه من القصاص. وأقاد القاتل بالقتيل قتله به

وعدم الاستبداد فيما لانص فيه ماجاء في (ص ١٧٢ م ٥)

« روى الدارمي والبيهقي عن ميمون بن مهران قال : كان أبو بكر اذا ورد عليه خصم نظر في كتاب الله فان وجد فيه مايقضي به قضى به بينهم وان لم يجد في كتاب الله نظر هل كانت من النبي صلى الله عليه وسلم فيه سنة فان علمها قضى بها فان لم يعلم خرج فسأل المسلمين فقال « أتاني كذا وكذا فنظرت في كتاب الله وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجد في ذلك شيئاً فهل تعلمون ان النبي (ص) قضى في ذلك بقضاء ؟ » فربما قام الرهط فقالوا : نعم قضى فيه بكذا وكذا ، فيأخذ بقضاء رسول الله (ص) ويقول عند ذلك « الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا » وان أعياه ذلك دعا رؤوس المسلمين وعلماءهم (أي الذين هم أولو الأمر في الآية) فاستشارهم فاذا اجتمع رأيهم على الأمر قضى به . وان عمر بن الخطاب كان يفعل ذلك » وكان يرجع الى أقضية أبي بكر الأول فأنت ترى ان ماجروا عليه في الصدر الأول كان منتهى الكمال الممكن في عصرهم الكافل لحاجتهم

ولكن حدثت للمسلمين بعد ذلك حاجات أخرى فقد مصّروا المدائن والامصار ودخل الناس في دينهم أفواجا من جميع الأمم والملل فكثرت حاجات العمران وحدثت للناس أقضية كثيرة لم يكن لها نظير في الصدر الاول كما قال عمر بن عبد العزيز تحدث للناس أقضية بحسب ما أحدثوا ثم ان هؤلاء الناس لم يكونوا من فهم الدين والاهتداء به كما كان أهل العصر الاول ومن ثم احتيج الى وضع قوانين عامة يعرفها الناس ويتقاضون بها وكان يجب بمقتضى هداية القرآن ان يجتمع لذلك أولو الأمر وهم المعبر عنهم في الاثر المذكور آنفا برؤوس المسلمين وعلمائهم فيضعوه ويجري ما يظهر لهم ان الامة الاحكام عليه مالم يروا تحويره وتنقيحه ولكنهم تركوا ذلك للأفراد يكتبون متفرقين بحاجة اليه فكثرت المذاهب والآراء وكان ينصب القاضي من هؤلاء الأفراد المنصرفين الى وضع الاحكام برأيهم واجتهادهم حتى اذا ماضعف العلم بفشو تقليد أفراد من المصنفين في الاحكام صار الحكام المستبدون يولون القضاء أفرادا من متعلمي مذاهبهم فكان ذلك نقصاني القضاء عند المسلمين ، سببه عدم الاهتداء بما سبق تقريره من أصول الدين ، مع ما طرأ عليهم من الأمراض الاجتماعية

والفتن السياسية ، فجمة التقصير على المسلمين لاشيء منه يلصق بهداية الاسلام

فرض القرآن لجماعة أولي الأمر أن يستنبطوا الأمة ما تحتاج اليه بالشورى فلم يفعلوا ونهاهم عن تقليد الافراد فقلدوهم ونهاهم في آيات كثيرة عن التفرق والخلاف فتفرقوا واختلفوا ولو وضع لهم أولو الأمر قانونا مدونا لاخلاف فيه بحيث يعرف الحاكم والمحكومون ما به يكون الحكم لكانوا مهتدين بهدي الاسلام ولم يمنع ذلك من أن يكون القاضي مجتهدا كما كان في عهد السلف مع التزام أحكام الكتاب والسنة فان ما يضعه أولو الأمر لمصلحة الدنيا واجب الاتباع بنص القرآن كما يجب اتباع الله ورسوله وحينئذ يكون محل اجتهاد القاضي في تطبيق أحكام الكتاب والسنة وقانون أولي الأمر على القضايا وأقله فيما عساه يعرض من القضايا التي أغفلها القانون ولا نص فيها ويشترط في ذلك أن يقرن اجتهاده باجتهاد غيره كما يحصل نظير ذلك في محاكم الاستئناف على الطريقة الأوربية

(السؤال الثاني)

(س ٥١) ان ما جرى عليه المسلمون من حكم القاضي بأحد المذاهب التي قلدها الجمهور (وهو مذهب الحاكم العام في كل مملكة غالبا أو دائما) يستلزم اذا استبدل قاض تابع لمذهب بقاض تابع لآخر أن يحكم القاضي الجديد بمذهبه بين المتعاقدين مع مراعاة مذهب من قبله وقد تكون الشروط الأولى التي التزموها ورضوا بها لموافقتها المصلحة باطلة عند القاضي الأخير فتفسد المصلحة على أحد المتعاقدين أو كليهما . ومما يدخل في هذا الباب انتقال المتعاقدين أو الشريكين من بلد الى بلد آخر يخالف مذهبه مذهب الأول . ومثل هذا مما صرحت قوانين الأوربية بحكمه

(ج) هذا مما يرد على المسلمين وفقهم ولا يرد على أصول الاسلام نفسه وهي التي نلتزم في المنار بيان موافقتها لمصلحة الناس في كل زمان ومكان اذا أقيمت على وجهها دون هذا الفقه وبيان ذلك يعلم مما تقدم في المسألة السابقة من ان القرآن وكل ذلك الى أولي الأمر يستنبطونه بالمشاورة بينهم لا يلتزمون في ذلك الا الأصول المنصوصة المجمع عليها من إقامة ميزان العدل ودرء المفاسد وحفظ المصالح وهذا لا يمكن مع التقليد الذي هو التزام الأمة مذهب أحد أفراد علمائها

السابقين ولذلك تحمي دائما على التقليد وتقول انه والاسلام ضدان · والحكم بما يضعه أولو الأمر على ماذكر ليس تقليدا بل هو عين الاجتهاد · ولا يرد عليه مايضعه جماعة منهم في مملكة ويراعيه الناس في عقودهم ومعاملتهم ثم ينتقل بعضهم الى مملكة أخرى وضع أولو الأمر فيها قوانين أخرى على فرض ان الاسلام يجيز وجود مملكتين مختلفتين في الاحكام ولا ما يقع اذا مات واضعو قانون وخلفهم آخرون رأوا تغيير بعض أحكامه فان مثل هذا واقع الآن في الأمم المرتقية في علم الحقوق فان الأمم يخالف بعضها بعضاً وكل أمة تنسخ وتبدل بعض أحكام قوانينها آنا بعد آن ويراعون في ذلك مصلحة من تعاملوا من قبل هذا النسخ والتبديل · وأي مانع يمنع المسلمين من ذلك غير هذا التقليد الذي خالفوا به القرآن والسنة ، وأقوال جميع الأئمة ، ؟

وجملة القول ان كل بلايا المسلمين في علم الحقوق عندهم منشؤها التقليد وهي كثيرة جداً ولو اتبعوا هدي الكتاب والسنة ، لا نكشف عنهم كل غمة ، فقد وسع الله عليهم ، ولكنهم ضيقوا على أنفسهم ، ولا يمكن اخراجهم من هذه الهوة أو انقاذهم من هذا الضيق الا بنزع أغلال التقليد من أعناقهم وكسر قيوده التي في أرجلهم وحينئذ يتسنى لهم في أي مملكة لهم فيها حكم أن يؤلفوا لجنة من أهل العلم والرأي والمكانة في الأمة تضع لهم القوانين والأحكام التي تدرأ هذه المفاسد الكثيرة وتسهل لهم سبل المصالح التي تقتضيها طبيعة زمانهم ومكانهم عملا بهدي القرآن الحكيم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

﴿ حديث « ان للاسلام صوى ومناراً » في طرة المنار ﴾

(س ٥٢) من م · ح · ن · بالحجاز

المرجو من حضرة الاستاذ الحكيم العالم الرباني سيدي السيد محمد رشيد رضا أفندي ان يفيدني عن هذا الحديث « ان للاسلام صوى ومنارا كنار الطريق » في أي كتاب من الكتب الحديثية المعتبرة هو وفي أي باب هو فصحيح هو أو ضعيف و يشرح لي معناه لازال في مقام كريم ، على رغم أنف كل حاسد لئيم ، آمين

وقد رأيت في (الرحمة المهداة لمن يريد الزيادة على حديث المشكاة) لنبيل المرحوم السيد صديق حسن خان ملك بهوبال في باب السلام حديثاً يخالف ماهو على طرة المنار الأغر « ان للاسلام صوى ومنارا كنار الطريق » وهو طويل ما أعلم هل الذي على طرة المنار له زيادة أم هو كما هو على طرة المنار أرجو الافادة عنه سيدي

(ج) نرون الحديث في الجامع الصغير باللفظ الذي نرونه في المنار معزو الى الحاكم عن أبي هريرة وبجانبه علامة الصحة ونرون بعده حديثا آخر « ان للاسلام صوى وعلامات كنار الطريق ورأسه وجماعه شهادة ان لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وتمام الوضوء » وهو معزو الى الطبراني عن أبي الدرداء وبجانبه علامة الضعف . أما معناه فالصوة بضم الصاد المهملة كالكوة حجر يكون علامة في الطريق يهتدى به كالمنارة والجمع صوى ككوى وهو جمع قياسي كغرفة وغرف . قال في لسان العرب : وفي حديث أبي هريرة « ان للاسلام صوى ومنارا كنار الطريق » . . . قال أبو عمرو الصوى أعلام من حجارة منصوبة في الفيافي والمفازة المجهولة يهتدى بها . وقال الاصمعي : الصوى ما غلظ من الأرض وارتفع ولم يبلغ أن يكون جبلا ، قال أبو عبيد : وقول أبي عمرو أعجب الي وهو أشبه بمعنى الحديث : اه وقال في مادة (نور) : والمنار والمنارة موضع النور : ثم قال أيضاً : والمنار العلم يوضع بين الشيئين من الحدود وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم « لعن الله من غير منار الأرض » أي أعلامها والمنار علم الطريق . وفي التهذيب المنار العلم والحد بين الأرضين والمنار جمع منارة وهي العلامة تجعل بين الحدين ومنار الحرم أعلامه التي ضربها ابراهيم الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام على أقطار الحرم ونواحيه وبها تعرف حدود الحرم — الى أن قال — وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه « ان للاسلام صوى ومنارا » أي علامات وشرائع يعرف بها : اه

ومنه يعلم أن تسمية ما يبنى في المواني ويوضع فيه النور لتهتدي به السفن ليلا

بالمنار له وجهان أحدهما انه موضع النور وثانيهما انه علم يهتدى به ولكن الناس يسمونه الفنار وهو لفظ أعجمي لا يبعد أن يكون محرفا عن المنار . ويصح أن تسمى الأعلام الحديدية التي توضع في السكك الحديدية لهداية الوابورات بالمناور أيضاً

هذا وانا قد اقتبسنا اسم المنار من الحديث الشريف تفاؤلا بأن يكون مبيناً لصوى الاسلام وناصبا لأعلامه وموضحاً لنور الحقيقة التي نحتاج اليها في حياتنا الملية والاجتماعية والله الموفق والمعين

﴿ الرخصة لاصحاب الاشغال الشاقة بفطر رمضان والفدية ﴾

(س٥٣) من أمين محمد افندي الشامي بمصلحة السكة الحديدية بأتبرا (السودان)

فضيلة الاستاذ المرشد

بعد تقديم واجب الاحترام أرجوكم الجواب على السؤال الآتي وهو انا عمال مصلحة السكة الحديد السودانية نشتغل باجهاد النفس في ورش جدرانها وأسقفها من حديد ولا يخفى على فضيلتكم أن موقع السودان وشدة الحرارة وتأثيرها في تلك الورش شديد جدا كما لا يخفى على فضيلتكم ما لمفعول الاعمال البدنية من تنشيط الهضم وسرعته فهل يرخص الشرع الشريف للمسلم الذي تحيطه مثل هذه الظروف بافطار شهر رمضان أم لا وإذا رخص الشرع الشريف فما الذي يجب على المفطر اداؤه جزاء على هذه الرخصة أفيدونا على صفحات مناركم الاغر ولفضيلتكم الثواب

(ج) جاء هذا السؤال قبل طبع الملزمة الاخيرة من هذا الجزء فبادرنا الى الاجابة عنه من غير مراعاة ترتيب الاسئلة فنقول : يباح لاصحاب الاعمال الشاقة التي عليها مدار معيشتهم اذا كانوا يتحملون مشقة شديدة بالصيام ان يفطروا ويطعموا عن كل يوم يفطرونه مسكينا لأن الحرج مرفوع من الدين بنص القرآن وقد ذكر ذلك الفقهاء كما في شرح المنهاج للرملي (ص٣٣٩ ج٢) وبه فسر الاستاذ الامام قوله تعالى (٢ : ١٨٤ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) (راجع ٦٥١ م ٧) وأقل مايطعمه المسكين مد من الطعام وقدر بعشر كفي الرجل المعتدل من القمح واذا غداه أو عشاه معه أو أعطاه ما يكفي لذلك من الطعام الذي يأكله هو كفى

آثار علمية أدبية

﴿ المطبوعات الجديدة ﴾

﴿ كتاب غريب القرآن للسجستاني ﴾

كتب علماء الاسلام في غريب القرآن كتبا كثيرة منها المطول والمختصر ومنها المنثور والمنظوم ومنها مختصر الشيخ أبي محمد بن عزيز السجستاني سماه نزهة القلوب وهو مرتب على حروف المعجم ترتيبا خاصا . وقد طبعه في هذه السنة محمد افندي الخانجي وشركاؤه طبعا جيلا ضبطت فيه كلمات القرآن في الأكثر . فجاء كتابا لطيفا بشكل صغير يوضع في الجيب وهو مفيد يفسر الكلمات غالبا بالمعنى المراد وتارة يذكر أصل الاشتقاق

﴿ غذاء الألباب لشرح منظومة الآداب ﴾

كتاب الشيخ محمد السفاريني الحنبلي المتوفى سنة ١١٨٨ شرح منظومة الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد القوي المرداوي الحنبلي المتوفى بالشام ٦٩٩ أحد شيوخ تقي الدين ابن تيمية في العربية . وهذا الشرح يدخل في مجلدين فيهما من الاخبار والآثار والفوائد والشوارد مالا يوجد الا في الاسفار الكثيرة فقد كان السفاريني واسع الاطلاع حسن الاختيار في الغالب . وقد طبع كتابه هذا الشيخ عبد الفتاح الحجاوي النابلسي باذن أحفاد المؤلف وثمن النسخة منه عشرون قرشا وأجرة البريد في القطر المصري أربعة قروش وهو يطلب من مكتبة المنار وغيرها من المكاتب المشهورة

﴿ كتاب الأمالي لأبي علي القالي ﴾

سبق لنا قول في هذا الكتاب النفيس وهو جزآن يتلوهما جزء لطيف سماه ذيل الأمالي وجزء آخر ألطف منه سماه النوادر وقد تم طبع الجميع في مطبعة بولاق الأميرية على نفقة الشيخ اسماعيل بن يوسف بن صالح بن دياب التونسي المقيم بمصر

قلنا في الجزء الاخير من السنة الماضية إن هذا الكتاب من أفضل كتب الأدب وقد عده ابن خلدون أحد أركانها الأربعة التي تعد سائر الكتب فروع عنها . والثلاثة الأخرى أدب الكاتب لابن قتيبة والكامل للمبرد والبيان والتبيين للجاحظ . ففي الكتاب من مختار المنظوم والمنثور للعرب والمخضرمين وكبار المولدين ومن مباحث اللغة والأدب ما هو خير عون على طبع ملكة البلاغة في نفس من يزاول قراءته . وأما طبعه فنفيد القول بأنه لم يطبع بمصر فيما نعلم كتاب بعد المخصص مثله في الضبط والاتقان مع جودة الورق فعسى ان يقبل عليه عشاق الأدب ولا بد أن تبتاع نظارة المعارف طائفة من نسخه

﴿ سفينة النجاة ﴾

كتاب في النحو وضعه للتعليم في مدارس القريم أحد أساتذتها (الاخ بلاج) وهو مؤلف من أربعة أجزاء لطيفة — الأول والثاني ذكرت فيه المسائل بأسلوب السؤال والجواب وضبطت بالشكل التام دون التمرينات الملحقة بها وهما لتعليم المبتدئين في السنة الأولى والثانية [illegible] ووضع الثالث والرابع شروح في هوامشهما . وقد أهدانا المؤلف نسخة من طبعة الكتاب الرابعة فاذا هي بمكانة من الجودة والضبط والاتقان . فهل نجد في الأزهر مثل هذه الكتب لتسهيل التعليم التي سبق علماءنا اليها الاجانب ولولا أن نظارة المعارف سبقت الى مثل هذه الكتب وان هذا المؤلف أخذ عنها وحذا حذوها لساغ لنا أن نقول أن الاجانب خيرمنا في خدمة لغتنا

﴿ سفينة البلغاء ﴾

وأهدانا هذا المؤلف أيضاً نسخة من رسالة في علوم البلاغة الثلاثة سماها سفينة البلغاء وهي نحو ستين صفحة فنشكر له هذا وذاك

(التقدم) جريدة سياسية يومية أنشأها في تونس البشير الفورتي و بين ان من مقاصدها الدعوة الى الاعتصام بالدين والدفاع عنه وخدمة الجامعة الاسلامية في بذل النصائح لأهل الوطن في جميع الشؤون والاعتدال في تنبيه الحكومة الى ما يجب فنحث القراء والكتاب على تعضيدها بالاقبال عليها واسعادها على هذه الخدمة الجليلة

باب الأخبار والآراء

سياسة ايطاليا ومطامعها في بلاد المسلمين

دولة ايطاليا تحاول مجاراة الدول الاستعمارية ولكنها تجهل الاستعمار فتسلك اليه غير طرقه وتأتيه من غير أبوابه · ومن المعروف المشهور أن لها طمعاً قديماً في ولاية طرابلس الغرب العثمانية وقد علمنا في هذه السنة أن أطماعها قد تعلقت بولاية اليمن وأنها منذ زمن غير قريب تدس الدسائس الى امام الزيدية فيها لتقوى عزيمته على محاربة الدولة العلية وتتوهم أنها تدخل اليمن في ظلمات هذه الفتنة فلا يفطن لها أحد · وإن طمعها في اليمن لأدل على جهلها بطرق الاستعمار من طمعها في طرابلس الغرب لا لأن عرب اليمن أشجع وأمرن على الحرب من عرب طرابلس ولا لأن الزعيم الديني الذي في اليمن سياسي حربي بالفعل والزعيم الديني (وهو السنوسي) الذي في صحراء طرابلس ليس كذلك بل لأن اليمن والحجاز صنوان فالدولة التي يستقر سلطانها وقوتها في اليمن تكون خطرا متصلاً بالحجاز فأول من يتألب عليها إذا كانت غير مسلمة عرب الجزيرة ويجب على جميع المسلمين في جميع أقطار الأرض ان يكونوا عوناً لهم بكل ما يستطيعون فكأن دولة إيطاليا بطمعها في اليمن تهدد المسلمين بهدم الكعبة والقضاء على الاسلام في حرم الله تعالى وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم

ومع هذا نرى لبعض خدمة هذه الدولة وسائل سياسية تضحك الثكلى يراد فيها غش المسلمين وإقناعهم بأن ايطاليا محبة للاسلام والمسلمين منها تلك الهدية التي أرسلتها الى السنوسي وما أمكن ان ترسل اليه الا باسم رجل مسلم من مستخدميها ثم كتب اليه بعد ذلك بأن ملك ايطاليا دفعها لحبه الشديد في الاسلام نفسه وفي المسلمين عامة والسنوسي والسنوسية خاصة!! · ومنها ما ذكرناه في بعض أجزاء منار هذه السنة من استخدام الشيخ عبد الرحمن عليش في بناء مسجد وإيقافه ليصلى فيه على روح أمبرتو الأول ملك ايطاليا السابق ليشتهر ذلك بين جهلة مسلمي طرابلس

واليمن والصومال والشيخ عليش يصفه بالايمان ليوهم الناس أنه كان مسلما !!

ومنها أنشاء مجلة بمصر نصفها عربي ونصفها طلياني كتب عليها «عربية تليانية إسلامية» ويدير أعمالها وسياستها رجل طلياني ويكتب فيها من الخبط والخلط في الدين والتصوف مايبكي المسلم الصادق، ويضحك المارق والمنافق، وأما الحب الذي يضعه مدير سياسة هذا الفخ حوله ليجذب به اليه من يراه من أغرار المسلمين الذين يشبهون الطير في غرارتها فهو مدح الاسلام ودعوى إقناع الأورپيين بفضله وأي فضيحة على المسلمين أشنع من تمنيهم بأن بعض الاجانب الذين يخدمون دولة طامعة في بلادهم هو الذي يبين لأوربا والمسلمين جميعاً حقيقة الاسلام وفضله وهو لا يعرف أحكامه ولا يستخدم الا الجاهلين بها ؟؟ ولماذا لم يجعل هذه الخدمة للاسلام بلغات الدول التي يقول أنها أعدى أعدائه كانكلترا وفرنسا دون لغة أهله العربية ولغة محبيه بزعمه وهم الايطاليون ؟

وقد وقع لبعض جرائد المسلمين تقريظ هذه الصحيفة الخادعة ولعله كان قبل التأمل فيها، والفضل [illegible] ولاغيرها الى ذلك

(حزب الامة)

انعقدت الجمعية العمومية لشركة (الجريدة) المصرية في ١٣ شعبان فخطب فيهم حسن باشا عبد الرازق (لاعتذار رئيس الجمعية محمود باشا سليمان عن الحضور بسبب صحي) خطبة سياسية اجتماعية جمعت بين الحكمة والبلاغة وقد سمى فيها الجماعة المؤسسة الجريدة بحزب الأمة وبين مقاصده في ست جمل كلية فوافق من حضر على ما قال باجماع عقب مناقشة . وقد تلقى العقلاء ظهور هذا الحزب بالقبول وما زال الناس يدخلون فيه فرادى وثبات ، وفقه الله للخير وأيده بالثبات ،

(رزء عظيم بعظيم من زعماء المسلمين)

روت الاهرام عن بعض الجرائد الانكليزية ان الممالك الهندية قد أصيبت بوفاة النواب محسن الملك الناظم الاعزازي لمدرسة العلوم الكلية في عليكره . فوجلت منا القلوب لهذا النبأ العظيم ، والرزء الأليم ، الذي أصاب المسلمين عامة في ذلك العقل الحكيم ، والقلب الرحيم ، والعلم الواسع ، والتدبير النافع ، والقلم

الكاتب ، والرأي الصائب ،وأصاب صاحب هذه المجلة بصديق صادق ، ومحب مخلص ، واني أكتب هذه الكلمات لأحشرها في المجلة وقد تمت موادها بعد حذف شيء مما جمع منها وان لنا لعودة الى الكلام عن هذا الرجل العظيم وعسى ان يمن علينا الدكتور ضياء الدين أحمد بترجمة حافلة له رحمه الله وأحسن عزاءنا عنه

الرد على فريد افندي وجدي

قد علم قراء المنار أننا ما تصدينا للرد على ما يكتبه محمد فريد افندي وجدي الا لأنه يتكلم في أصول الدين وفروعه بغير علم (الا ما يقتبسه من المجلات والجرائد وبعض الكتب العربية والفرنسية التي ينظر فيها عند الحاجة) وأنه لما رأى ذلك فزع الى جريدة اللواء فأوسعنا فيها سبا وشتما وتهديدا ووعيدا ومزج ذلك بشيء من المغالطة جعلها كالرد لما انتقدنا به كلامه في فلسفة التشريع ٠ ولكنه رأى اننا رددنا هذه المغالطة ردا علميا لا يقبل المراء وأنالم نبال بتهديده ووعيده بأنه سيتتبع سقطات المنار حتى لا يبقى لنا ترفع رأسا ، بل اظهرنا له السرور بتصديه لنقد المنار (ان كان يقدر على ذلك) لأن النقد هو ضالتنا التي ننشدها دائما فهددنا وتوعدنا في مجلته بأنه قد كتب الى كثير من علماء الدين يطلب منهم الرد علينا وانه سيطبع ما يرد عليه من ذلك متى كثر في كتاب ويوزعه كأنه موقن بأن سيجيبونه الى ما طلب !! وجعل ذلك خاتمة لمقالة في السب والشتم والدعوى والتبجح استغرقت أربع ورقات سماها الدرس الاول وقال « واني لن أزال ألقي عليه من هذه الدروس مادام لم يعرف قدره حتى يفيق من هواه ويفيء الى أمر الله » !! ويعني بأمر الله فيما يظهر ترك نصيحته وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر وانما أمر الله بالتناصح والتواصي بالحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا بترك ذلك

وما رأيت أحدا من العقلاء اطلع على كلامه هذا أو على مقالاته في اللواء الا وقال انه أهان بها نفسه اهانة لا يستطيع ان يلحقها به الاعداء وأنها أشد عليه من نقد المنار لكلامه وكان بعض محبيه بين له ذلك ونصح له بأنه اذا لم يستطع مقابلة المنار الا بمثل هذه الدروس التي هي تبجح واطراء لنفسه وازراء بمناظره فالسكوت أجدر به وأحفظ لكرامته ولعله يسكت المنار عنه فكتب الينا ما يأتي

مصر في ١٨ — ٩ سنة ٩٠٧

الى حضرة الشيخ رشيد

أرجوكم أن لا ترسلوا الي « المنار » مادمتم تسبوننا فيه فقد عزمت ان لا أرد عليكم ولا يتم عزمي هذا الا اذا ابتعدت عن كل ما يثير نفسي ، ولو كنت أعلم ان فيما تقولون ظلا من الحق والصدق لقرأته صاغرا ولكنكم اتخذتم اليوم خطة أنتم أعلم بمصير السالكين فيها وقد تكلفت كتابة هذا الخطاب اليكم ابقاء على مجلتكم من الرد بالبوستة

كاتبه فريد وجدي

فلينظر أهل الفهم والعقل الى هذا الكلام وليعجبوا من قوله — وكله مواضع عجب — « ولو كنت أعلم ان فيما تقولون » الخ فهل يستطيع أحد من خلق الله ان يحكم على قول يقال في المستقبل بأنه ليس فيه ظل من الحق والصدق الا اذا كان موقنا بأنه يعلم الغيب وأنه معصوم في كل ما يقول ويكتب ؟؟

لقد كان مما قلته إن موضوع علم الحديث كل ما يتعلق بالنبي صلى الله عليه وسلم من الأقوال والأفعال والصفات وانه مخطئ في جعله موضوعه الأقوال فقط . ومنه تخطئته في قوله انه لم يصح عند البخاري الا كذا حديثا اذا نقلت عن البخاري نفسه أنه صح عنده أكثر من ذلك . فاذا كان أعلم بما صح عند البخاري من البخاري والحفاظ الذين نقلوا عنه لأنه يعلم الغيب مثلا فهل يأتي ذلك في الحكاية عن الاصطلاحات كموضوع علم الحديث الذي قال فيه عن المحدثين ما هم مجمعون على خلافه ؟ نعم كان مما قلت انه غير صادق في قوله ان مشيخة الازهر قررت كتابه كنز العلوم واللغة في الأزهر وملحقاته وإنما اشترت مكتبة الأزهر بعض النسخ منه . ثم تبين لي أن أمين المكتبة الأزهرية لم يشترها هو باستحسانه ولا بأمر شيخ الجامع شيئا من الكتاب وأن ما وجد في المكتبة وظننت أنا أنها ابتاعته منه فهو مما أرسلها اليها ديوان الأوقاف فان بعض أصحاب فريد افندي سعى له في الديوان فاشترى الديوان بعض النسخ وأرسلها الى مكتبة الأزهر وله العادة في ذلك . ووالله انه لم يظهر لي أن شيئا مما كتبته يخالف الحق ولو بوجه ما الا ذلك الظن بأن مكتبة الأزهر ابتاعت بعض نسخ ذلك الكتاب . ولكن ظهور الحق في ذلك أشد على فريد افندي وجدي من خطائه .